جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

نظرات في الفكر الأخلاقي
في
الفلسفة اليونانية وأثره في الفلسفة الإسلامية

د/ ليلى سليمان على بكر
مدرس العقيدة والفلسفة

٢٠٠٥ م

جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

نظرات في الفكر الأخلاقي في الفلسفة اليونانية وأثره في الفلسفة الإسلامية

د/ ليلى سليمان على بكر
مدرس العقيدة والفلسفة

٢٠٠٥ م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد - عبد الله ورسوله - صاحب الخلق العظيم (١) الذي كان خُلُقُهُ القرآن الكريم ... وبعد

فمما لاشك فيه أن الأخلاق تمثل جانباً أساسياً في الحياة الإنسانية سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ، ذلك أن الإنسان مركب من عنصرين أحدهما : مادي والآخر : روحي ، فهو بما رُكِّب فيه من جانب روحي يستطيع أن يسمو بأفعاله وتصرفاته إلى عالم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون كما يمكن أيضاً بما رُكِّب فيه من جانب مادي أن يهبط بأفعاله وأخلاقه إلى درجة الحيوانات ، وانطلاقاً من ذلك كانت أهمية الأخلاق بالنسبة للإنسان ، وذلك لما تدعو إليه من ضرورة التحلي بالفضائل والبعد عن الرذائل وتغلب جانب الحق على الهوى ، هذا ولا تقل أهمية الأخلاق بالنسبة للمجتمع عن أهميتها بالنسبة للفرد فإذا شاعت الفضائل في مجتمع وتعاون أفراده على البر والتقوى والمحبة والصدق والإخلاص وغيرها من الفضائل التي تحث عليها الأخلاق لأصبح المجتمع وحدة واحدة متحابة مترابطة ، ولمَّا كان للأخلاق هذه الأهمية بالنسبة للفرد والمجتمع ، فقد اهتم بها الفلاسفة والمفكرون منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر .

---

(١) ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ سورة القلم آية ٢.

ومــن هــنا كان اهتمامي بهذا الموضوع الذي قسمته إلى مقدمة ثلاثة مباحث تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع ، وفي المبحث الأول عــن تعــريف علــم الأخلاق وفائدته وفي المبحث الثاني عن الأخلاق في بلاد الشرق وتحدثت في المبحث الثالث عن الأخلاق في الفلسفة اليونانية وأثرها على الفكر الأخلاقي عند الفلاسفة المسلمين ، وذلك بذكر بعض الأمثلة الدالة على هذا التأثير .

د/ ليلى سليمان على بكـر

مدرس العقيدة والفلسفة

المبحث الأول

تعريف علم الأخلاق وبيان موضوعه والفائدة من دراسته

١- تعريف علم الأخلاق :

أ - التعريف اللغوي .

الأخــلاق جمــع خُلق وله معان لغوية كثيرة منها السَّجيَّة الباطنة ، وأوصــافها ومعانــيها المختصة بها ، والتخلُّق هو تكلُّف الخلُق وإن كان لــيس من طبعه الإبداع والتقدير ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِيـنَ ﴾ (١) ومعناه أحسن المقدرين ، والخليقة الطبيعة التي يُخلق بها الإنسان ، ورجل خليق أي تام الخلق معتدل " (٢)

ب - التعريف الاصطلاحي :

اختلفــت الــتعريفات الاصطلاحية لهذا العلم تبعاً لاختلاف الغاية منه عــند المعرّفيــن له ، وتــبعا لنوع ثقافتهم ، فالذين تأثروا بالمعنى اللغوي قالوا بأنه " علم العادات " .

وهذا التعريف يضفي على علم الأخلاق نوعا من التقريرية في الوقت الذي اتفق فيه أغلب الباحثين على أن هذا العلم من العلوم المعيارية (٣).

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٤ .

(٢) انظــر لســان العرب لابن منظور مادة (خَلَقَ) ج٥ صــ ١٤٠ ، ط/ دار صادر بيروت ط١ ٢٠٠٠ ، المصباح المنير للفيومي ص١٨٠ .

(٣) وهــذه الــنظرة التقليدية لعلم الأخلاق والذي تعده علما معياريا أي يدرس مــا ينبغــي أن يكــون علــيه الســلوك الإنساني فيضع بذلك قوانين الأفعال الإنســانية ومثلها ، أو المبادئ العليا لها ، ولكن مدرسة من علماء الاجتماع فــي فرنســا قد اتجهت بالأخلاق اتجاها اجتماعيا صورت فيه علم الأخلاق =

ويقصدون بذلك أنه لا يبحث في أعمال الإنسان الإرادية التي صارت عـادات وتقالـيد من حيث هي أمور حاصلة في الواقع ، وإنما يبحث في كيفـية توجـيهها صوب الطريق السوي على نهج من قواعده وقوانينه ثم يحكم عليها حسب المقاييس التي يضعها [١] ، فهذا التعريف غير جامع .

ومن تعريفات هذا العلم ما ذكره الفيلسوف الفرنسي " باسكال **Pascal** " وهـو أن : الأخلاق علم الإنسان " على أساس أن الأعمال التي هي مناط البحـث والحكـم الأخلاقي هي أعمال إنسانية لكنه تعريف غير مانع لأنه يشـمل العلـوم الإنسانية المتعددة كعلم المنطق والنفس والتاريخ والقانون وغـيرها مـن العلـوم التي تتخذ الإنسان من نواحيه المادية أو المعنوية

فـرعا مـن علم الاجتماع موضوعا ومنهجا ، وقد ذهبوا إلى القول بأن علم الأخـلاق علمـا وضعيا فهدموا بذلك التصور التقليدي له ، فقد فصل " ليفي بـريل " وأسـتاذه " دور كايم " علم الاجتماع عن الفلسفة وأطلقا عليه اسم " علـم العادات " إشارة إلى أن الأخلاق هي دراسة موضوعية تجريبية لقوانين العـادات الخلقـية عـند الإنسان ولكن علم الأخلاق - على القول بأنه علم العـادات - لا يمكـن أن يتجرد عن المبادئ والقيم المعنوية التي لا تخضع للـتجربة ، فالطريق التجريبية لم تحل لنا هذه المبادئ التي هي في جوهرها معـنوية فلـم تخـبرنا مثلا عن حقيقة الخير أو الشر أو السعادة أو الكرم أو الشـجاعة .... الـخ " انظـر الأخـلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ، د/ مصطفى حلمي " ص ٦ ، ط . دار الدعوة ، ط٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

(١) انظـر : دراسات في فلسفة الأخلاق ، د/محمد عبد الستار نصار ص ١٧ ، ط . مكتبتـي لطـباعة الأوفست ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١م ، ومباحث في فلسفة الأخلاق ، د/ محمد يوسف موسى ص١٩ ، ط ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م .

محوراً لبحوثها (١) .

ومـــن تعـــريفات هـــذا العلم أيضاً ما ذكره ابن مسكوية بأنه : " حال للـــنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين : منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنـــى شـــيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب ، ومنها ما يكون مستفادا بالعـــادة والـــتدرب وربما كان مبدأه بالروية والفكر ، ثم يستمر عليه أولاً فأولا حتى يصير ملكة وخلقا (٢) .

وهـــذا الـــتعريف ليس جامعاً ولا مانعاً إذ أن " للنفس وظائف وقوى عديدة تصدر عنها آثارها المختلفة في سهولة ويسر فهل ينبغي لنا أن نسمى شيئاً من هـــذه الآثـــار خلقـــاً ؟ كلا فالخلق ليس إلا صفة معينة لجانب واحد معين من جوانب النفس الإنسانية – وهي متعددة – ذلك لا يسمى خلقا ، لأنه لكي يكون خلقا لابد أن يكون متضمنا صفة وحكما ، صفة للنفس بأنها خيرة أو شريرة ، وحكمـــا على الفعل بأنه خير أو شرير هذه الصفة وهذا الحكم يعطيان العقل قـــيمة جمالـــية تمـــيزه عن أنماط السلوك الأخرى التي تصدر عن الإرادة ، فالخلق إذا هو العقل الذي يتضمن في داخله عنصرين هما : الإرادة ، والقيمة الجمالـــية ، وتعريف ابن مسكوية لا يشتمل على العنصر الأول إلا بشكل عام ويغفل العنصر الثاني إغفالاً تاما لذا فهو تعريف غير دقيق .

وعرفه الغزالي بقولـه :

الخلـــق عـــبارة عـــن هيـــئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال

---

(١) مباحث في فلسفة الأخلاق ص ٤ .

(٢) تهذيـــب الأخـــلاق وتطهـــير الأعراق لابن مسكوية ص٩١ ، تحقيق ابن الخطيب ، ط المطبعة المصرية ط ١ بدون تاريخ .

بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجمالية المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسنا ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا ، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال ، والسكوت عند الغضب بجهد وروية ، لا يقال خلقه السخاء والحلم .

فهناك أربعة أمور :

١- الفعل الجميل .

٢- القدرة عليه .

٣- المعرفة به .

٤- هيئة للنفس ، بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن أو القبيح ... فالخلق عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة (١) .

وهذا التعريف يلاحظ فيه الأساس النفسي للسلوك . أي تعريف الأخلاق من حيث كونها صفة نفسية للإنسان يصدر عنها سلوكه.

٤ـ ومن تعريفاته أيضاً ما ذكره أحمد أمين بقوله :

هو علم يوضح معنى الخير والشر ، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا ، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس

(١) إحياء علوم الدين ج٣ ص ٦٦ ، ط . دار صادر - بيروت .

في أعمالهم ، وينير السبيل لعمل ما ينبغي [١] .

وهــذا التعريف إن كان صحيحاً إلا أنه " لا يوفي إلا الناحية النظرية لهــذا العلــم ، ذلــك لأن مجرد تحصيل قواعد العلم لا يجعل الإنسان ذا أخلاق حسنة ، فلو علم الإنسان الشر والخير وعرف الواجب أو الواجبات ، دون أن يكــون لهــذه المعــرفة أثر في سلوكه ، لا يسمى متخلقا ، لأن التخلق تلبس بالفعل بالأخلاق الفاضلة لا مجرد الدراسة النظرية " [٢] .

٤ـ وعرفه معجم لالاند بثلاث تعريفات هي :

أ – ((مجموع قواعد السلوك مأخوذة من حيث هي غير مشروطة .

ب – السلوك المطابق للأخلاق مثلا حين نتحدث عن تقدم الأخلاق .

ج – نظــرية عقلية في الخير والشر وبهذا المعنى تتضمن الكلمة أن النظرية تنحو نحو نتائج معيارية)) [٣] .

واعترض على هذه التعاريف بالآتي :

* إن الــتعريف الأول ناظر إلى اتجاه علم النفس دون التعريف بموضوعية الأخــلاق وحقيقــته ، لأن النظر إلى قواعد السلوك لا ينسجم مع طبيعة واقع الأخلاق ، فأخذ السلوك في مفهوم الأخلاق غير ملائم ، لأنه خلط بين النفس والأخــلاق ، وبالنســبة إلى **الـتعريف الثاني** ، فإن مطابقة السلوك للأخلاق لا يكشــف طبــيعة الأخلاق وكذلك ظرف التطبيق يلائم علم النفس ولا يرتبط

---

(١) كــتاب الأخــلاق ، أ/ أحمد أمين ، ص٢ ، ط . مكتبة النهضة المصرية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

(٢) دراسات في فلسفة الأخلاق ص ١٨ .

(٣) الأخــلاق النظرية ، د/ عبد الرحمن بدوي ، ص٨ ، ط وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٥م .

بمفهوم الأخلاق ، فإن مجرد التطبيق لا يسمى أخلاقا .

أما التعريف الثالث : " فإنه ناظر إلى نتيجة الأخلاق ،وآثارها من غير نظر إلى حقيقة الأخلاق ومفهومها الاستقلالي ، مع أن المعيارية تقع في موارد الأخلاق العلمية ولا يمكن تعريف الأخلاق النظرية بالمعيارية إلا بناءاً على ما ترتئيه في طبيعة الأخلاق بأنها عبارة عن تعديل الصفات ، فيناسب كونه علماً معيارياً لا علماً وصفياً "(١) .

ومن تعريفات الأخلاق أيضاً ما جاء في دائرة المعارف للبستاني : الذي عرفه بأنه « علم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى الإنسان بها ، وبالرذائل وكيفية توقيها ليتخلى عنها،وهو نفس المعنى الذي ختم به أرسطو كتاب الأخلاق إلى " نيقوماخوس " يقول : " في الشئون العملية ليس الغرض الحقيقي هو العلم نظريا بالقواعد بل هو تطبيقها فيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي أن يُعلم ما هي بل يلزم زيادة على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها . لو كانت الخطب والكتب قادرة وحدها على أن تجعلنا أخيار لاستحقت – كما يقول تيوغيسى – أن يطلبها كل إنسان ، وأن تُشترى بأغلى الأثمان ، ولكن لسوء الحظ كل ما تستطيع المبادئ في هذا الصدد أن تفعله " هو أن تشد عزم بعض الكرام ؟ على الثبات في الخير ، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقاً للفضيلة (٢).»

---

(١) علم الأخلاق النظرية والتطبيق ، محمد محمد طاهر آل شبير ، ص٨ ، ط . دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .

(٢) انظر الأخلاق إلى نيقوماخوس لأرسطو طاليس ، ترجمة أحمد لطفي السيد ص١ ، من المقدمة ج١ ، ط/ مطبعة الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م .

موضوع علم الأخلاق

موضــوع كــل علــم هو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية أو " هو مباحثه التي يعني بدراستها " (١) فموضوع علم الجغرافيا مثلا هو الأرض مــن حيــث تأثيرها في الإنسان وتأثير الإنسان فيها ، وهو علاقة الإنسان والحــيوان بالمكان ، وموضوع علم التاريخ هو الإنسان من حيث علاقته بالــزمان ، وموضوع الكيمياء دراسة المواد المختلفة أو تأثير بعضها في بعض " (٢) ، فالعلوم إنما تتميز بالموضوع كما تتميز بالتعريف ، فالتمييز الحاصــل بالموضـــوع تميــيز بحسب الذات ، بينما التمييز الذي يحصل بالــتعريف هــو تميــيز بحسب المفهوم والتميز الذي يكون بحسب الذات يكون راجحاً زائداً في نفسه عن التمييز بحسب المفهوم (٣) .

وعلى هذا فموضوع علم الأخلاق هو : الأعمال الإنسانية الإرادية أي الصــادرة عن تفكير وإرادة وإنما قيدنا الأعمال الإنسانية بكونها " إرادية " لأن هــناك أفعــالاً كثــيرة تصدر من الإنسان لا دخل لإرادته فيها وذلك كأعمــال الجهــاز التنفســي والدموي والهضمي وهي الأعمال الآلية التي تحــدث والمرء نائم أو يقظان ، مفكر أو غير مفكر ، والأعمال المنعكسة أي الناشــئة عن سبب خارجي عن الجسم مثل اختلاج العين عند الانتقال فجــأة مــن ظلمــة إلــى نور ، وانقباض اليد عند وخزها فهذه الأعمال

---

(١) مباحث في فلسفة الأخلاق ص ٦ .

(٢) الأخــلاق ، أحمــد أمين ، أمين مرسي قنديل ، ص٦ ، ط / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٣) أضــواء على النظريات والمذاهب الأخلاقية د/ محمد حسن على عمار ، ص ١٤ ، ط/ دار الإسلام للطباعة ١٩٩٢م .

كسابقتها لا دخل لإرادة الإنسان فيها ، وإذا عرفنا أن علم الأخلاق يرتب مسئولية خلقية على الأعمال ، تبين لنا بجلاء أن الأعمال غير الإرادية سواء كانت آلية أم منعكسة ليست في شيء من موضوعه ، لأنه لا يتدخل إلا حيث يكون القصد والاتجاه والإرادة .

وليست أعمال الإنسان منحصرة في هذين النوعين فهناك أعمالا تشبه الأعمال الإرادية واللاإرادية فهل يشملها علم الأخلاق فيحكم على فاعلها بالخيرية أو الشرية ، أولا يشملها فيكون صاحبها ليس موضوع المؤاخذة الأخلاقية ؟

ويوضح معنى ذلك الأمثلة الآتية :

١- الأعمال التي تصدر من الإنسان وهو نائم كالذي ينام ويجواره مصباح مشتعل ثم تبدو منه حركة لا يحس بها تقلب المصباح فيشعل النار .

٢- الأفعال التي تصدر من إنسان مصاب بمرض النسيان كمن علم بوجود خطر سيلحق بإنسان ما في موعد محدد ولكنه نسى ذلك فلم يخبره فوقع الخطر .

٣- الأعمال التي تصدر من شخص عصبي المزاج يثور لأقل الأسباب مع رجاحة عقله وكمال إرادته .

٤- الأعمال التي تصدر من شخص مستغرق الفكر كمن يستغرق في القراءة أو الكتابة لدرجة تنسيه فعل الواجب وطلب الحق [1] .

فهل هذه الأعمال إرادية فيكون الإنسان محاسب عليها ، أو هي من

---

(١) انظر كتاب الأخلاق ص ٢، ٣ ، أحمد أمين ، مباحث في فلسفة الأخلاق ص٦ ، ٧ ، د/ محمد يوسف موسى .

النوع اللاإرادي الذي لا يُحاسب عليه .

والحق أن هذه الأعمال وأمثالها غير إرادية إذا لم يتعمد النائم مثلا في المثال الأول الإحراق أو فعل الضرر ، وهكذا في بقية الأمثلة ولكن الأمر ينبغي أن لا يكون بهذه السهولة المؤدية إلى الإهمال فصاحب هذه الأعمال لا يعفى من المسئولية الأخلاقية " لأنها وإن صدرت عن غير إرادة وتفكير ولكن كان في الإمكان الحيطة لها وتبين نتائجها وقت الانتباه والاختيار وهذا يوافق ما اختاره المحققون من المفسرين في معنى قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ (١) فإن طلب عدم المؤاخذة على النسيان أو الخطأ ، دليل أن ذلك مظنة المؤاخذة واللوم والمسئولية " (٢) .

ويتضح مما تقدم أن موضوع علم الأخلاق هو الأعمال الإرادية والأعمال التي وإن كانت وقت صدورها لا دخل لإرادة الشخص فيها إلا أنه كان من الممكن الاحتياط لها وأخذ الحيطة والحذر قبل وقوعها حين كان الشخص في حالة الانتباه والاختيار ، أما الأعمال الآلية أو المنعكسة فليست من موضوع علم الأخلاق .

تقسيم علم الأخلاق :

ينقسم علم الأخلاق إلى قسمين نظري وعملي ، فالأول يُعرف باسم " الأخلاق النظرية " أو " الأخلاق العامة " والثاني يسمى " بالأخلاق الخاصة أو العملية " .

والقسم الأول وهو الأخلاق النظرية يهتم بدراسة الضمير من ناحية حقيقته

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٢) مباحث في فلسفة الأخلاق ص ٨ .

، ومظاهـره من عواطف مختلفة كالرضا ، والسرور الداخلي لفعل الخير ، والألـم والتأنيب والندم لفعل الشر ، وما يصدره من أحكام أخلاقية على مخـتلف الأعمـال الإرادية ، كما يدرس هذا القسم الطريقة التي تُتبع في تعـريف المـثل الأعلـى الأخلاقـي كما يبحث في بيان أركان المسئولية الأخلاقـية كالحـرية والإرادة وتـناقش مسائل الجبر والاختيار والثواب والعقـاب والبواعـث التي تدفع إلى الأعمال والغايات التي يجب أن تكون هدفـا للإنسـان والمقاييس التي تقاس بها الأعمال وحقيقة الحق والواجب ومـا يتصـل بهمـا مـن اهتمامه أيضاً ببيان نقد النظريات المختلفة التي تتوارد على هذه المسائل والاجتهاد في إيجاد حل لها .

أما القسم الـثاني وهـو الأخـلاق العمليـة فيهتم بدراسة الواجبات المختلفة كواجـب الإنسـان نحـو ربه ونفسه ووطنه ونحو الإنسانية أي أنها تهتم بالجانب التطبيقي لمباحث القسم الأول على ظروف الحياة العملية المختلفة لتقول فيها كلمتها بما يتفق مع المقاييس الأخلاقية المتعارف على تحكيمها فـي الحياة العملية ، فهذا الجانب العملي هو ثمرة للجانب النظري كما أنه يقـوم بـدور الـرقابة لممارسة الجانب النظري ومدى تطبيقه في الحياة الواقعـية للفـرد والمجتمع بحيث يكون من شأنه الحكم بمطابقة الفعل أو عدم مطابقته لقانون الأخلاق (١)

فائدة علم الأخـلاق :

قـبل أن نـتحدث عن فائدة علم الأخلاق نرى أنه لابد من بيان رأي

---

(١) انظـر : مباحـث في فلسفة الأخلاق ، د . محمد يوسف موسى ص ١١ ، ١٢

علماء الأخلاق في مسألة قبول الأخلاق الإنسانية للتبديل والتعديل ، وعدم قبولها ، فقد اختلف الباحثون حول هذه المسألة فمنهم من قال أن الخلق لا يتغير ولا يتبدل واستدل على ذلك بأمرين :

أحدهما : " أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلقة هو صورة الظاهر ، فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها أحد ، فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ، ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ، ولا القبيح يقدر على تحسين صورته ، فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجري .

والثاني : أنهم قالوا إن حسن الخُلق يقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة ، وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمي ، فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فالمطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده [١] .

ومن أنصار الرأي الأول بإسكال الذي يقول : " إن الأخلاق الصحيحة تهزأ بعلم الأخلاق وتسخر منه " وهربرت سبنسر " الذي يرى أن رغبة الأخلاقيين في إصلاح النفوس البشرية إنما هي بدعة وسخافة ويستدل على ذلك بأننا نرى في حياتنا من المتعلمين والوعاظ من لا أخلاق لهم وبجانب هؤلاء نرى أن من الجهال والأميين من هم على جانب عظيم من الاستقامة والشرف [٢] .

أما أصحاب الرأي الثاني والذي يمثل جمهور الباحثين فيرى أن الخُلق قابل للتغيير ومن أشهر هؤلاء سقراط إذ يقول : أن معرفة الفضيلة تكسبها ،

---

(١) إحياء علوم الدين ج٣ ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) انظر: مباحث في فلسفة الأخلاق ص ١٣، ١٤، د/ محمد يوسف موسى

والجهـل بهـا مصدر الرذيلة " [١] وأن الفضيلة علم والرذيلة جهل ومن مؤيـدي هـذا الرأي أيضاً الإمام الغزالي إذ يقول : " لو كانت الأخلاق لا تقـبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ " حسـنوا أخلاقكـم " [٢] وكـيف يـنكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهـيمة ممكـن ، إذا ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس والكلب من شـره الأكلـة إلـى الـتأدب والإمساك والتخلية والفرس من الجماح إلى السلاسـة والانقـياد وكل ذلك من تغيير للأخلاق [٣] ، ويؤيد ابن مسكوية هذا الرأي بأمرين أحدهما :

المشاهدة : فـإن تحول الإنسان من خلق إلى آخر أمر مشاهد كما في الصـبيان ذوي الأخـلاق القبـيحة ثم ينتقلون بالتربية والقدوة إلى أخلاق جميلة ، ولو كان الخلق طبيعيا لاستحال هذا الانتقال .

الثاني : أنـه يتسق مع الغرض من وجود العقل والتمييز في الإنسان والحكمة من إنزال الشرائع لهدى الناس وإصلاحهم [٤] .

فدراسة الأخلاق وسيلة ناجحة من وسائل التربية والتهذيب لأن البحث فـي الفضائل وتبين حسن عاقبتها ، وتعرف الرذائل وسوء مغبتها وكذلك دراسـة كثـير ممن كانوا في حياتهم العملية مُثُلا سامية للفضائل كل ذلك

---

(١) المرجع السابق ص ١٣ .

(٢) حديـث حسـنوا أخلاقكـم أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث معـاذ " يا معاذ حسن خلقك للناس " منقطع ورجاله ثقات " إحياء علوم الدين ج٣ صـ ٥٤ " .

(٣) إحياء علوم الدين ج٣ ص ٦٩ .

(٤) انظر : الهوامل والشوامل لابن مسكوية ، ص ١١٩ .

يستهوي الدارس ويغريه بالتحلي بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة وأن ينشيء نفسه على غرار هؤلاء الفضلاء (١) .

وإذا كانت هذه هي الغايات وفوائد علم الأخلاق فهناك غايات أخرى لتلك الدراسة منها :

١- أنه يضيء لنا السبيل لحل المشكلات اليومية المتعلقة بسلوكنا ، إذ لا يخفى أن مشكلات كثيرة تواجهنا كل يوم ولا مفر لنا من القطع فيها برأي فتساءل عما يجب أن تعمل لحلها ، وأي طريق نسلك فيها ، فعلم الأخلاق يعيننا على أن نهتدي إلى الحل وعلى اختيار الطريق الذي يرضى الضمير والعدالة .

٢ ـ يوضح لنا السبب في أن عملا خير من عمل ، فيبين : أنه لا ينبغي لنا أن نندفع وراء هوانا وغرائزنا الأولية ، بل يجب أن نعمل على ضبطها وتهذيبها ، ولم يجب أن نستمع إلى صوت الضمير والواجب على ما قد يكون في ذلك مشقة ونصب ؟ ولم يكون العمل خيرا في حين أن نتيجته قد تكون شرا .

٣ - الاستمرار على كف النفس عن الاندفاع مع الهوى وتوجيهها إلى الخيرية يعين على تقوية الإرادة ، فتكون لنا قوة تجعلنا نثبت على الخير والحق على الرغم من تقلب الحوادث وتتابع المحن .

٤ - معرفة الإنسان بأسباب ما يعمل تجعل عمله أكبر قيمة وأكثر خيرا فالذي يعمل الخير وهو خبير بما يفعل ومدرك للغاية التي يقصد أفضل وأسمى ممن يعمله وهو جاهل به ، كأن يكون عمله تقليدا ومسايرة

---

(١) مباحث في فلسفة الأخلاق ص ١٥ ، د/ محمد يوسف موسى .

للعـرف ، فالصـانع الذي يتخرج من مدرسة صناعية أقدر على فهم سر صنعته ممن تعلمها تقليدا ونقلا .

٥ - العلـم بـالعمل الصالح يعين على التوجه نحوه والقصد إليه ، فقد أصـبحت الحـياة الاجتماعـية الآن معقـدة حافلة بالمشكلات الأخلاقية والاتجاهـات المتضـاربة في السلوك التي قد تختلف فيها وجهات النظر اخـتلافا كبـيرا حـتى أن المـرء لا يعرف بأية وجهة نظر يأخذ ، فعلم الأخـلاق يبيـن لـنا هذه الوجهات المختلفة ، والعلم بالخير والصالح من الأعمال مما يعين الإرادة على التوجه إليه .

٦- دارس هـذا العلـم يكون أصدق حكما على سلوك الناس وأخلاقهم وأقـرب إلـى الصـواب فـي تقديره لأعمالهم وبواعثهم وأقدر على نقد الأعمال التي تعرض عليه وتقويمها تقويما مستقلا غير خاضع في أحكامه إلـى إلـف الناس وتقاليدهم وبالإضافة إلى ذلك فهو علم عملي يمس كل إنسـان من قريب مهما تكن مهنته وعمله ويتصل بالحياة أتم الاتصال فهو يداخـل الأديـب في أدبه والطبيب في طبه والسياسي في حكمه ... الخ ، وينير للجميع سبيلهم إلى الخير [١] .

صلة علم الأخلاق بالعلوم الإنسانية الأخرى :

هـناك صـلة قوية بين جميع العلوم الإنسانية نظراً لوحدة موضوعها فجمـيع العلـوم الإنسانية تتحدث عن موضوع واحد وهو " الإنسان " على الرغم من أن كل علم منها يبحث في جانب من جوانبه فعلم الأخلاق لـه صـلة بجمـيع العلوم الإنسانية كعلم المنطق والفلسفة وعلم الاجتماع

---

(١) انظر : الأخلاق ص ١٠ ، ١١ ، أحمد أمين ، أمين مرسي قنديل .

وغيرها ، ولنبين ذلك بشيء من التوضيح فيما يأتي :

١ـ صلة الأخلاق بعلم النفس :

لمـــا كـــان علـــم الأخلاق يتخذ موضوعه أفعال الإنسان الحر العاقل المخـــتار وعلـــم الـــنفس يبحـــث في العوامل النفسية والعقلية التي تحرك الإنســـان وتدفعـــه لأن يفعل أو يترك ، يقول أو يصمت ويوجه دفة الحياة بالنسبة له كان على النفس مقدمة ضرورية للدارس علم الأخلاق ، ولذلك نـــرى أن الذين ألفوا في الأخلاق من القدامى كانوا يقدمون لها بالكلام في الـــنفس ، ففـــي هذا الاتجاه سار الإمام الغزالي الذي ألف كتابه " معارج القدس في مدارج معرفة النفس " وابن سينا في رسالة تقسيم الحكمة (١) .

وقـــد تفرع من علم النفس فرع يسمى " علم النفس الاجتماعي " وهو يدرس العقل من وجهته الاجتماعية ، فيبحث في اللغة وتأثيرها في العقل ، وعـــادات الأقوام المتوحشة ، وتطور النظم الاجتماعية ونحو ذلك ، ولهذا الفرع تأثير مباشر في علم الأخلاق أهم من تأثير علم النفس الفردي (٢) .

وإذا كـــان علم النفس مقدمة ضرورية لعلم الأخلاق على ما بينا فهناك رأى آخـــر للفيلســـوف الألماني " كانت " يرفض هذه الصلة بين الأخلاق وعلـــم الـــنفس وحجته في ذلك أن علم النفس يعتمد على التجربة الحسية وهي متغيرة بينما مبادئ الأخلاق يجب أن يتوفر لها قدر من الثبات وهذا القـــول لأن علم النفس الذي يرفض كانت أن تعتمد الأخلاق عليه هو علم الـــنفس التجريبـــي ، أمـــا علـــم النفس الذي تعتمد عليه الأخلاق كمقدمة

---

(١) أضـــواء على المذاهب والنظريات الأخلاقية ، د/ محمد حسن عمار ص ٢٣ ، ط/ دار الإسلام للطباعة ١٩٩٢م .

(٢) كتاب الأخلاق، ص، أحمد أميـــن . ص ٦

ضـــرورية لهـــا هو علم النفس الفلسفي وهو ما لا يستطيع أحد أن يرفض اعتماد الأخلاق عليه [١] .

الأخلاق والمنطـق :

لكل من العلمين صلة وثيقة بالآخر تتجلى فيما يأتي :

١- أن كلـــيهما مـــن العلـــوم الإنسانية بمعنى أن كلا منهما يتخذ من الـــنفس الإنســـانية موضـــوعا له فالمـــنطق موضوعه فكر الإنسان بينما موضوع الأخلاق هو سلوك الإنسان .

٢- أن كلاهمـــا علم مقياس ، فكما يبحث المنطق عن مقياس للحقيقة يبحث علم الأخلاق عن مقياس لسلوك الإنسان .

٣- يعمـــل كل منهما على وجوب الاتفاق مع المقياس الذي ينتهي إليه ، فـــيعمل المـــنطق لاتفاق الذهن في تفكيره مع مقياس الحقيقة والأخلاق تقول بوجوب اتفاق السلوك مع مقياس الخير [٢] .

وقد تكون الأخلاق – أو هكذا يجب أن تكون – ثمرة من ثمار التفكير المنطقي السليم فالمفترض في دارس المنطق أن يكون تفكيره سليما صحيحاً مستقيما حتى يمكن أن يقال إنه قد حقق الفائدة من دراسة المنطق [٣] .

الأخلاق وعلم الاجتمـــاع :

هـــناك صـــلة أيضـــاً بين علم الأخلاق وعلم الاجتماع فدراسة أعمال الإنســـان الإرادية التي هي موضوع علم الأخلاق تؤدي حتما إلى دراسة الحياة الاجتماعية التي هي موضوع علم الاجتماع ، فالإنسان مدني بطبعه

---

(١) انظر : الأخلاق إلى نيقوماخوس لأرسطو ، المقدمة ص ٩ .

(٢) مباحث في فلسفة الأخلاق ص ٥١ .

(٣) أضواء على المذاهب والنظريات الأخلاقية ص ٢٥ .

لا يســتطيع الحــياة منعزلاً عن المجتمع كما أننا لا نستطيع أن نبحث عن أخــلاق الفــرد إلا إذا بحثــنا عن المجتمع الذي ينتسب إليه وإذا كان علم الأخــلاق يهتم بوضع مبادئ السلوك الإنساني فعلم الاجتماع يهتم بوصفه وتصنيفه .

علم الأخلاق والقانون :

كما توجد صلة قوية بين علم الأخلاق والقانون الوضعي من حيث«أن كــلا منهما يضع ضوابط للسلوك الاجتماعي وإن كان العلمان يختلفان من حيث مصدر الالتزام واحترام القواعد والمبادئ ذلك لأن القانون الوضعي لا يعــرف من الأعمال إلا الظاهر فقط ويحكم عليها بناءاً على ذلك ، أما القــانون الخلقــي فهو يؤاخذ على الظواهر والبواطن حتى خطرات النفس وذلــك بما وُضع في الضمير من معاني حية تشد الإنساني إلى فعل الخير وتؤنبه على فعل الشر»(١)

الأخلاق والدين :

هناك علاقة وثيقة وصلة قوية بين الدين والأخلاق ، فالأخلاق لابد أن ترتــبط بالدين لأن الأخلاق من غير دين - كما يقول الفيلسوف الألماني " فخــته " - عبــث ، وذلــك لأن الدين يعتز بها وينميها ، حيث أن العقيدة الدينــية باعتبارها المصدر الرئيسي للإحساس بقدسية القوانين أو المبادئ الأخلاقية «هي أكبر دافع يدفع الإنسان إلى الأعمال الإيجابية الخيرة وأقوى رادع يكفــه عــن إتباع الهوى والشهوات ومن المعروف أن علم الأخلاق لــيس فــيه جزاء قط إلا حكم الضمير، وحكم الضمير لا يمكن أن يكون له

---

(١) دراسات في فلسفة الأخلاق ص ٢٨ .

الأثـــر في الإصلاح الاجتماعي إلا إذا اقترن به ما يربيه وهو الدين الذي يخضـــع ضمير الإنسان له ، فصوت الضمير المتدين قوي»[١] ودور الدين في تربية الأفراد لا يقل شأنا عنه في تربية الجماعات والأمم ، بل وإقامة الحضـــارات ،«فلـيس مرد الحضارات إلى التقدم المادي الذي قد يحجب مؤقــتا مظاهر الضعف والانحطاط الخلقي بل أن أساس الحضارات كلها هـــو الإنســـان فلا تستغني العلوم والثقافات عن التربية والتهذيب الديني ، فـــالعلم سلاح ذو حدين صالح للبناء والهدم معا فلابد له من رقيب أخلاقي عـــند استخدامه وهذا الرقيب هو العقيدة والإيمان ، يقول العالم الطبيعي " روبـــرت ملـــيكان " إن أهـــم أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق ، ولقد كان زوال هذا الإيمان سببا للحرب العامة ، وإذا لم يجـــتهد الآن لاكتســـابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة بل يصير نكبة على البشـــرية »[٢] ، فالعقيدة الدينية لها دور إيجابي ومؤثر في السلوك الأخلاقي لدرجـــة تجعـــل الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية إلى حد يستحيل معـــه المقارنـــة وخير دليل على صحة هذا القول ما ذكره القرآن الكريم والســـنة النبوية المطهرة من عجائب الانقياد والطاعة للأوامر الإلهية التي كـــان يمتثل لها المسلمون امتثالا حرفيا حال تبليغها لهم ومن ذلك ما حدث عـــند نـــزول النهـــي القاطع عن شرب الخمر في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِيـــنَ آمَـــنُواْ إِنَّمَـــا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّـــيْطَانِ فَاجْتَنِـــبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ**

---

(١) الدين ، د/ محمد عبد الله دراز ص ٦٩ .

(٢) الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام د/ مصطفى حلمي ، ص ٢٠ ، ٢١

الْعَـداوَةَ وَالْبَغْضَـاءَ فِـي الْخَمْـرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (١) .

فما سمع الصحابة ذلك الأمر حتى انتهوا «فعن أنس بن مالك قال بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ بن جـبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر فسمعت مناديا ينادي ألا إن الخمر قد حرمت ، قال فما دخل علينا داخل ولا خرج مـنا خـارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ بعضنا واغتسل بعضـنا " (٢) وكذلك لما نزلت آية الخمار في سورة التوبة امتثلت النساء أوامر الله تعالى فأصبحن وراء رسول الله ﷺ وكأن على رؤوسهن الغربان ، فالعاطفـة الدينية أشد عواطف الإنسان لصوقا بنفسه وأعظمها تأثيرا في حياة الأفراد والشعوب وعلم الأخلاق فلسفة عقلية تقنع العقل ولا تؤثر في القلـب فـي كثير من الأحيان ولذلك نرى كثيرًا من الفلاسفة يقررون في أحكـامهم ما لا يفعلون ، ومن الأمثلة على ذلك «معاملة الزنوج في بعض البلاد ، فمع أن العلماء والحكماء يرون أن التفرقة عملا همجياً لا يليق بأمة متحضرة ، لكن الأكثر منهم عند العمل لا تتفق مشاعرهم مع إزالة التفرقة ، ولو كان هناك دين غذي الضمائر وسيطر على القلوب لكان العمل متفقا مع القول مما يؤكد لنا أهمية العقيدة الدينية للأخلاق » (٣) .

الأخلاق والسياسـة :

هـناك علاقة وطيدة أيضاً بين علم الأخلاق وعلم السياسة ، فالإنسان

---

(١) سورة المائدة آية ٩٠ ، ٩١ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص ١٣٠، ط / المكتبة التوفيقية القاهرة.

(٣) الأخلاق بين الفلسفة والإسلام صـ ١٩، ط / المكتبة التوفيقية القاهرة.

مدنـــي بطــبعه يعــيش فـــي المجتمع وما دام الأمر كذلك فلابد أن يتأثر بالتــيارات والأفكار السياسية في دولته ، فالتيارات السياسية في أي دولة تــترك آثارها في سلوك الفرد لدرجة جعلت بعض الفلاسفة ينظر إلى علم الأخــلاق علـــى أنه مجرد فرع من علم السياسة ، وليس أدل على صلة الأخــلاق بالسياســـة ممـــا كتبه الفارابي عن المدينة الفاضلة وواضح من خـــلال الاســـم الارتباط الذي يؤمن به الفارابي بين الأخلاق والسياسة من حيث كونها سياسة أخلاقية ساميـــة [١] .

الأخلاق وعلم الجمال :

يشـــترك علـــم الجمال مع علم الأخلاق في أن كلا منهما علم فلسفي فالقيم التي تهتم الفلسفة بدراستها ثلاثة هي :

- **الحق** وهو موضوع علم المنطق ، **الخير** وهو موضوع دراسة علم الأخلاق ، **الجمال** وهو موضوع دراسة علم الجمال .

وكـــل مـــن علـــم الأخــلاق وعلم الجمال علم إنساني ، فعلم الأخلاق يخـــتص ببحث ما يجب أن يكون عليه سلوك الإنسان وعلم الجمال يبحث فـــي مدى تأثير المناظر الجميلة على الإنسان ، فكل شيء جميل بلا شك يبعـــث في النفس الراحة ويبعث على رقة الطبع ، ولين الجانب مما يؤدي إلـــى حســـن الخلـــق ، يقول " تشارلز دارون " أن عدم العمل على تذوق الحســـن ، وإهمـــال تربية عاطفة الجمال لهو فقدان السعادة ذاتها على أن ذلك الإهمال يخمد شعلة الذكاء ويضر ضررا بليغاً بالأخلاق [٢] وقد أمرنا الله ســبحانه وتعالى بالنظر في ملكوت السماوات والأرض والتعرف على

---

(١) محاضرات في الأخلاق د/ محمود عبد المعطي بركات ، ص٥٣، ط٨٢

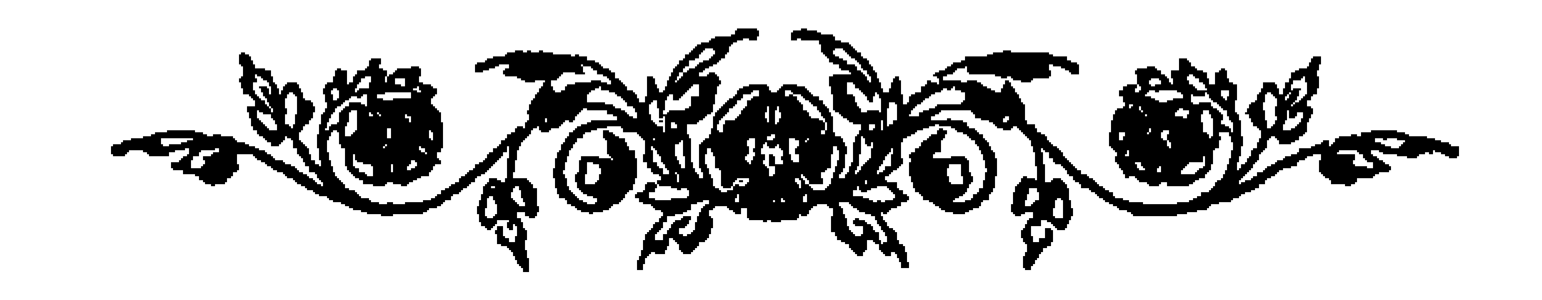
(٢) أضواء على النظريات والمذاهب الأخلاقية ص ٢٨ .

مـــا في هذا الكون من إبداع وإعجاز وجمال والوصول إلى معرفة المبدع الخـــالق جل وعلا يقول الله تعالى : ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** ﴾ [1] .

﴿ **فَلْيَـــنظُرِ الانسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّـهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ** ﴾ [2]

﴿ **إِنَّ فِـــي اخْـــتِلاَفِ اللَّـــيْلِ وَالـــنَّهَارِ وَمَـــا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ** ﴾ [3]

وإذا كانـــت دراســـة الأخلاق تهدف إلى تحقيق الخير فلا يوجد باعث يبعـــث علـــى الخـــير أكثر من الإحساس بجمال المخلوق الذي يوقفنا في خشوع أمام عظمة الخالق .



(١) سورة الغاشية آية ١٧ - ١٩ .

(٢) سورة الطارق آية ٥ - ٨ .

(٣) سورة يونس آية ٦ .

المبحث الثاني

الأخـــلاق فـــى بلاد الشـــرق

يذهـــب كثـــير من الباحثين إلى القول بأن الفكر الأخلاقى قد ولد فى بـــلاد الإغريق على يد سقراط إلا أن المدققين من الباحثين ذهبوا إلى أن أصـــول الفكر الأخلاقى وبداياته الأولى كانت فى بلاد الشرق القديم وفى ذلـــك يقـــول د: توفيق الطويل : (ومن الحق أن يقال إن البحث الأخلاقى عند اليونان وبالتالى فى أوروبا – لم يكن بدأ فجائياً غير مسبوق بمقدمات تسـلم إلـــيه ، فإن فى حكمة الشرق الضاربة فى أغوار الماضى السحيق اتجاهـــات أخلاقية واضحة المعالم وفى تراث مصر والهند والصين صور مخـــتلفة مـــن التفكير الأخلاقى الأصيل نبتت فى ظله فلسفة الأخلاق فى أعمـــق اتجاهاتها [(١)]. كما يأخذ الدكتور " هنرى توماس " على المؤلفات سواء الغربية والشرقية التى تسير على نهجها – أنها لا تتحدث عن حكمة الشـــرق فى بداية حديثها عن قصة الفلسفة والأخلاق وتبدأ بمناقشة الفلسفة اليونانـــية مـــتجاهلة أن المفكريـــن الشـــرقيين من مصر والهند والصين وغـــيرها هم الذين فجروا الينابيع التى استقى منها الفكر اليونانى واسترشد بهـــا فـــى صـــوغ آراءه الأخلاقية والفلسفية وكذلك من جاءوا بعدهم من الفلاســـفة فمـــن المســـتحيل أن نفهـــم حكمـــة أفلاطـــون ، واسبينوزا ، وشـــوبنهاور ، وكانـــت ، ونيتشه ، وغيرهم من غير أن نقف على فضل

---

(١) فلســـفة الأخـــلاق نشـــأتها وتطورهـــا د. توفيق الطويل صـــ٤٥ . ط/ دار الثقافة للنشر والتوزيع ط٤ .

حكمة الشرق[١]. وانطلاقاً من ذلك سنبدأ الحديث عن الفكر الأخلاقي في الشرق القديم متمثلاً فى مصر والهند والصين .

١ـ الفكر الأخلاقي عند قدماء المصريين

لقد ارتبط سلوك المصريين الخلقي باعتقادهم أن للإنسان حياة أخرى بعد موته يجازى فيها على أعماله في حياته الدنيوية ، ولا شك أن الأمة التي تعتقد أن نجاحها في الدار الآخرة مرتبط بسلوكها في الحياة الدنيا على نمط أخلاقي فاضل لا تألوا جهداً في أن تترسم خطا الفضيلة بحيث لا تخرج في سلوكها على مقتضاها ، وهذا ما كان من المصريين القدماء الذين آمنوا بأن المرء حين تنفصل روحه عن بدنه وتذهب مسرعة إلى حيث تغرب الشمس تجد إله الأموات " أُوزوريس " جالساً في أول قاعة العدل وحوله اثنان وأربعون حكماً من الآلهة فتقدم هذه الروح إليهم في خشوع واستكانة فيطلبون منها أن تدافع عن أعمالها سلباً وإيجاباً فتقول في دفاعها السلبي " يا سادة إنني لم أخن أحدًا ، ولم أغدر بأحد ، ولم أجعل قرابتي في ضنك ، ولم أقم بدنية في موائل الحقيقة ، ولم أمازج عملي بشر قط وجانبت الضر والأذى ، ولم أعمل باعتباري رئيس أسرة ما ليس من عمل ربها ولم أكن سلبيا في خوف خائف ، ولا ألم متألم ، ولا بؤس بائس ، ولم أقدم على ما لا يليق بالآلهة فلم أوجع أحداً ، ولم أقتل نفساً ، وما حرضت أحداً على قتل أو خيانة ، ولم أكذب ، ولم أسلب المعابد ذخائرها ، ولم أرتكب أمراً لا يليق مع كاهن من كهنوته ، ولم أغل في الأسفار ، ولم أطفف الكيل والميزان ولم أسرق الماشية من

---

(١) انظر الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة د. عبد الله الشرقاوي صـ٣٢ ، ٣٣

مــرعاها ، ولــم أصر طير الآلهة ولم أشرك الإلهة في قرابينها المختارة فأنــا نقــي نقــي نقــي»[(١)] ومن دفاعها الإيجابي قولها " أطعمت الجياع وكســوت العراة وقدمت القرابين للالهة " وهذا الدفاع يكشف لنا عن مدى معــرفة المصــريين القدماء بالواجبات الخلقية المختلفة ومدى تمسكهم بها ومعرفــتهم أضدادها وبعدهم عنها ومن يتتبع حياة المصريين القدماء وما تــركوه لنا من وصايا خلقية منقوشة على مقابرهم ومعابدهم يجد صدق ما ذكــرنا ومــن هذه الوصايا ما تركه لنا المفكر الأخلاقي " بتاح حُتُب" الذي عــاش في حوالي ٢٧٠٠ ق م وقد صاغ تأملاته الخلقية في شكل وصايا وجهها إلى ابنه " وقد رسم فيها صورة للإنسان الحكيم الذي تعلم الفضائل ومــن أهمهــا ضــبط النفس التي ستصبح من أهم الأفكار الأخلاقية عند ســقراط وأرســطو ، وقد أدرك " بتاح حتب " الصلة الوطيدة بين النفس والتحلي بكل ما هو أخلاقي إذ التحلي بكل ما هو أخلاقي من شأنه الحفاظ على الصداقة ، والثقة بين الفرد وسيده والحفاظ على المودة بين الزوجين والأولاد والتحلــي بــتلك الفضــيلة يكون بأن يعمل الإنسان عقله في كل ســلوك يســلكه " [(٢)] وقــد عبَّر عن ذلك بقوله " اتبع عقلك ما دمت حيا " ومــن وصــاياه الأخلاقــية لابنه " إذا كنت حاكما تصدر الأوامر لشعب فابحــث لنفســك عــن كل سابقة حسنة حتى تستمر أوامرك ثابتة لا غبار علــيها " تعلّق بأهداب الحق ولا تتخطاه حتى ولو كان التقرير الذي تقدمه

---

(١) انظــر الديانــات القديمة للإمام محمد أبي زهرة ص١٦، ١٧ ط دار الفكر العربي ١٩٦٥م .

(٢) انظــر تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ج١ ص ٣٧ د/ مصطفى النشار ، ط/ دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ط ١٩٩٨م .

لا يسر القلب ومن وصاياه بالمرأة .

إذا كنـــت رجـــلاً ناجحـــاً أحب زوجتك في البيت كما يجب ، أشبع جوفها واستر ظهرها ، واجعل قلبها فرحا ما دمت حياً " (١)

أمـــا الحكيم الأخلاقي المصري امينوبي " فقد صاغ ثلاثين فصلاً في الحكمة رتبها في نظام دقيق كل فصل منها خاص بموضوع معين وبردية " مينوبـــي " محفوظة اليوم في المتحف البريطاني في لندن نسوق فيما يلي بعض من هذه الحكم التي صاغها في شكل وصايا لإبنه يقول له:

" لا تـــنم في الليل وأنت خائف من الغد ، فالإنسان لا يعلم ما سيكون علـــيه الحـــال فـــي الغـــد .... لا تقولن لست أحمل خطيئة ، أما الخطيئة فأمـــرها إلـــى الله ، وهـــو الذي يختمها بأصبعه ، وليس في يد الله إنسان كامل .

ويقـــول لابـــنه : " الله يحب الذي يدخل السرور على قلب المسكين أكـــثر مـــن الـــذي يحـــترم الرجل العظيم " لا تتخذ من الحد الفاصل بين الحقـــول ولا تكن جشعاً من أجل زراع من الأرض ، ولا تتعدين على حد راملة أم أرملة ؟ ، لا تطأ حرث الغير ، احرث الحقول حتى تجد حاجتك ، وتـــأخذ خبزك من جرنك الخاص ، فالمكيال الذي يعطيكه الله ، خير لك من خمسة آلاف تكسبها بالبغي (٢) .

وهـــذه الوصـــايا الأخلاقـــية تـــدل على أن المصريين القدماء كانوا

---

(١) انظر الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة صـــ ٣٨ .

(٢) انظر المرجع السابق صـــ ٣٩ : ٤١ .

أصـــحاب ســـلوك خلقي فاضل وأن الفضائل الخلقية كانت رائعة في هذا المجتمع والوازع الخلقي كان موفورا .

الأخلاق في الفكر الهندي :

مـــن المعـــروف أن للهنود حضارة قديمة وتراثا فكريا أخلاقيا كبيرا وســـنتحدث هنا عن الفكر الأخلاقي عند أهم مذهبين ظهرا في الهند وهما البراهمية والبوذية :

أولاً : البراهمية :(٢) .

تقـــوم فلسفة الديانة البراهمية من الناحية النظرية على فكرة وحدة

---

(١) *البراهمية* : هـــي إحـــدى الديانتيـــن المشهورتين في بلاد الهند " وتسمى " الهندوســـية " أو " الهندوكـــية " إذ تمثلت فيها تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصـــور حـــياتهم وأطلق عليهم البرهميَّة ابتداءاً من القرن الثامن قبل الميلاد نســـبة إلـــى براهما وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرا من العـــبارات كقـــراءة الأدعـــية وانتشار الأناشيد وتقديم القرابين " ومن براهما أخـــذت كلمة البراهمة وهم رجال الدين الذين يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهـــي وليس هناك مصدر معروف للديانة الهندوسية يمكن الرجوع إليه في تعالـــيمها وأحكامهـــا ويمكـــن القول بأن أساس الهندوسية هو عقائد الآريين المـــتأثرة بفكر كثير من الشعوب وعلى الأخص الإيرانيين ثم بأفكار وفلسفات نشـــأت في الهند في مراحل تاريخية متباعدة حتى أصبحت بعيدة عن العقائد الآرية الأصلية .

ومن أهم معتقداتهم : ١- الكارما " قانون الجزاء أي أن نظام الكون إلهي قائم علـــى العدل المحض هذا العدل إن لم يقع في الحياة الدنيا فسيقع لا محالة في الحياة القادمة ، والأرض هي دار ابتلاء كما هي دار جزاء وثواب .

الوجـود وتناسـخ الأرواح ، والفكـرة الأولى تعني أن الكائنات جميعها صـادرة عـن إله واحد ومن ثم فهي مظهر من مظاهره وهو منبث فيها جميعا ، كما أن الكائنات يمكن أن تتحد به وتعود إليه باعتبارها آتية منه.

والفكـرة الثانـية معناها أن الروح عند الموت تنتقل إلى جسم آخر حتى تتطهر مما يمكن أن يكون قد علق بها أثناء حلولها في الجسم السابق وقـد كان الطريق للوصول إلى الاندماج في براهما هو " الزيادة المفرطة بالصـوم وسهر الليل وتحمل النفس ألوان البلاء والحرمان مع عدم تمني المـوت لأن المـوت ينقله إلى دورة جديدة من دورات حياته وهو يرجوا لنفسـه الفـناء في براهما [1] وتقوم الأخلاق الإيجابية للبراهمة على عشر دعائم أساسية هي الوصايا العشر للدين البراهمي وهي :

مـراعاة الكائـن الإلهـي ، ومقابلة الإساءة بالإحسان ، والقناعة ، والاسـتقامة ، والطهارة ، وكبح جماح الحواس ، ودراسة الفيدا والصبر ،

٢- تناسـخ الأرواح : إذا مـات الإنسان يفني منه الجسد وتنطلق منه الروح لـتحل فـي جسد آخر بحسب ما قدم من عمل في حياته الأولى وتبدأ الروح في ذلك دورة جديدة .

٣- الانطـلاق ومعـناه أن صـالح الأعمـال وفاسدها ينتج عنه حياة جديدة مـتكررة لتثاب فيها الروح : وتعاقب بحسب ما قدمت في الدورة السابقة فإذا تحـرر الشـخص مـن ربقـه الأهـواء واطمأنت نفسه تنطلق روحه لتتحد بالـبراهما . انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة صـ ٤٥٣ ، ٥٦٤ ط١ الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، مقارنة الأديان .

(١) انظـر مقارنـة الأديـان د/ أحمـد شـلبي " أديان الهند الكيري " ص ٣٩ ط / مكتبة النهضة المصرية ط٤ - ١٩٧٦م .

والصدق ، واجتناب الغضب [١] .

وإذا كانت البراهمية تدعو إلى التحلي بالفضائل فهي أيضاً تنهي عن الرذائل وتتوعد من يفعلها بالعذاب الأليم ومن أهم هذه الرذائل التي ذكرتها كتبهم " الكذب ، وشهادة الزور ، وسفك الدماء بغير الحق ، والاستهزاء بالناس ، وغصب حقوقهم ، والسرقة ، وخاصة سرقة الذهب ، وقتل البقر ، والزنا بالإبنة ، وزوجة الابن وأم الزوجة ، واتصال التلميذ بزوجة أستاذه ، وجماع المرأة في أيام المعظمة ، وإتيان البهائم ، والعفو عن فاحشة الزوجة طمعاً في منفعة ، والاحتيال ، والغدر ، وعقوق الآباء ، والأجداد ، والشح ، والبخل على النفس ، وإخفاء المال طمعا في صلات الأمراء ، وإحراق بيوت الناس ، وقطع الأشجار وتقصير الأمراء في واجبهم نحو شعوبهم " [٢] .

أخلاق " بوذا " [٣] .

عُرف عن بوذا أنه كان من أصحاب الإرادة القوية والعزيمة الصلبة

---

(١) الأسفار المقدسة صـ ١٨٠ ، د/ على عبد الواحد وافي – ط/ نهضة مصر – ط٣ – ١٩٨٣م .

(٢) المصدر السابق صـ ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) مؤسس الديانة البوذية واسمه سذهاتا سدودانا ولد بالهند عام ٥٦٣ ق.م كان ابناً لأحد نبلاء قبيلة ساكيا من الطبقة الكشيرية ، وقضى فترة طفولته وشبابه كغيره من أبناء الملوك والأمراء فتهيأت له مفاتن الحياة وتدفقت المسرات تحفه من كل جانب ولكنه لم يستسلم للملاذ والشهوات بل جزبة جانب الشر والألم فى الحياة أكثر مما جذبه جانب النعيم والسرور فاستقر=

فقـد كـان " شديد الضبط قوي الروح ، ماضي العزيمة ، وواسع الصدر ، عـزوفاً عـن الشهوة ، بالغ التاثير بريئاً من الحقد ، بعيداً عن العدوان ، جـامداً لا ينبعـث فيه حب ولا كراهية ولا تحركه العواطف ، ولا تهيجه النوازل ، بليغ العبارة ، فصيح اللسان مؤثراً بالعاطفة والمنطق [١] .

أمـا أخـلاق الجماعة البوذية فتتمثل فى ضبط النفس وقهر الشهوة بدرجـات مـتفاوتة تبعاً للمقدرة الخاصة لكل فرد فيها " والاحترام للحياة إنسـانية كانت أو حيوانيةً من أهم الأخلاق البوذية ، فليس لبوذى أن يقتل حـيواناً فى لهو أو فى جد فالهدوء الروحي والحب لكل نسمة هو ما أرشد إلـيه بوذا والمحبة الشاملة أهم وأفضل من الأعمال الحسنة لدى الجماعة الـبوذية " [٢] . وإذا كـان جانـب السلوك العملى هو الجزء الخصب فى الأخـلاق البوذية فقد انطوت بجانب السلوك العملى – على تفكير نظرى مـنظم ومظهـر ذلـك أن بوذا قد ميز بشكل دقيق بين ما ينبغى فعله وما ينـبغى تركه ولا يتأتى ذلك على وجه منظم إلا بالدراسة والتأمل فقد قرر

= رأيـه علـى أن يدع صخب الحياة وأن يبدأ حياة الزهد والفكر لعله يصل إلـى معـرفة سـر الكون ومن أهم تعاليمه القول بإلغاء الطبقات ومعارضته للتعصـب الدينى وكان عدواً للغضب والطيش أيضاً فلم يعرف عنه أنه سبَّ أو سـخط أو نطق لسانه بكلمة جارحة أو قاسية كل هذا جمع الأصدقاء حوله مما سبب لدعوته النجاح الذى حظيت به دون كثير عناء أو جهد .

انظـر مقارنـة الأديـان " أديان الهند الكبرى " د. أحمد شلبى صـ ١٥٤ ، ١٥٥، ط / مكتبة النهضة المصرية ط ٤ / ١٩٧٦ .

(١) مقارنة الأديان صـ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق صـ١٧٣ .

عــزل الصــفات السلبية الشريرة " الرذائل " حتى تبقى الصفات الإيجابية الخــيرة " الفضــائل مــا ثلة أمام الفرد السالك فهو منهج يعمد إلى اثبات الموجــب بالــنص على السالب لقد علم تلاميذه أن الرذائل الواجب تجنبها عشر وهى :

الشهوات ، المقت ، الجهل ، العمى ، الإدعاء ، التعصب ، الشك ، الإهمــال ، الخلاعة ، الوقاحة ، ولا شك أن كل واحدة منها يقابلها فضيلة فالــنفس قــبل أن تتلبس بالفضائل لابد أن تتخلص من الرذائل حتى يكون اقتــناء الفضــائل صــحيحاً وبغير مزاحم وكأنه بهذا المنهج قد آثر منهج التخلــية قــبل التحلــية كما يقول بعض الصوفية ومن مظاهر اهتمام بوذا بــالأخلاق الــنظرية أيضاً أنه حدد منشأ الرذائل وطريقة علاجها فالسرقة والــزنا مــثلاً مــن رذائل الجسم ، والكذب والنميمة من رذائل النطق ، والخبــث والتزيــيف مــن رذائــل التفكير ، ولا عاصم من ذلك كله إلا بالانتصــار بــالإرادة الخيرة واستيلائها على ظاهر الإنسان وباطنه ومتى وصــل الإنســان إلــى كمــال قوة الإرادة استطاع أن ينفى عن نفسه كل الصــفات الخبيثة وأن يتحلى بكل الفضائل ومن أظهرها ما عرف عندهم بالفضــائل الست وهى كمال قوة الإرادة ومن يتحلى بهذه الصفات يصير أهلاً للامتزاج بالحقيقة المطلقة وهي أن يصبح حكيما آخر ، ويكون بذلك كالحكيم بوذا سواء بسواء »[١]

الصينيون

بلغت الفلسفة العملية أكمل وجوهها فى الصين ، فالفلسفة عندهم تنحو نحو

---

(١) انظر الفلسفة الشرقية د. محمد غلاب صـ١٤٥ .

الأخـــلاق والجانـــب العملي له العناية الأولى لديهم ولهذا بلغت الأخلاق عند الصـــينيين درجـــة أدهشـــت العلماء عندما عرفوها وعلموها وعرفوا ما عند الصينيين من حكم موروثة ووصايا وآراء خلقية سامية ومن هذه الآراء الخلقية أن الإنسان مفطور على الخير، سالك الطريق القويم لو خُلِّي بفطرته، ولكنه مع الفطـــرة الخيرة حي مستقل مفكر لا تمنعه فطرته من النزوع إلى الشر وذلك لإرادته المستقلة واختياره واستيلاء الشهوات عليه ، وطريق الخير هو الاعتدال والاقتصاد في كل أفعال النفس وسجاياها وأقصى الطريقين من إفراط أو تفريط رذيلة ويعدون الفضيلة طريق السعادة والرذيلة طريق الشقاء ، وقوانين الأخلاق لا تنفصـــل عن السياسة عند قدماء الصينيين فالحاكم لا يمكن أن يحمل الناس علـــى الجـــادة من غير أن يحمل نفسه عليها ، والملك الذي لا يسوس الناس ونفســـه بـــالأخلاق القويمة ينزل عليه غضب السماء وينزع منه الملك ، فلا تســـامح فـــى قانون الأخلاق ولو كان الآثم ملكاً وبهذا استمر العدل قائماً مع وثنيتهم وعدم تدينهم بدين سماوي ، وظل المجتمع الصيني يسوده الخلق الكامل ردحاً من الزمان إلى حوالي القرن السابع قبل الميلاد حيث حكمت الصين أسرة ارتكبت من الظلم والإثم ما أوقع الشعب في الفوضى والاضطراب والانحدار وفي طريق الرذيلة والانحلال الخلقي ، وإذا تفاقم الشر وجمحت النفوس اعمل الفضلاء الجهد وأحسوا بعظم التبعة (١) وكان ابرز هؤلاء الفضلاء الذين بذلوا الجهـــد لكى ترجع الأخلاق الصينية إلى سابق عهدها " كونفوشيوس (٢) " .

---

(١) انظر الديانات القديمة صـــ٩٤ .

(٢) حكـــيم صينى اشتهر فى الصين باسم " كونغ فوتس " ومعنى فوتس الحكيم أو الأســـتاذ ، وكونـــغ هو الاسم فمعنى التركيب : الأستاذ والحكيم كونغ وقد حـــرف الغربـــيون التركيـــب إلى كونفوشيوس " ولد عام ٥٥١ ق . م من =

وآراؤه في الأخلاق نتيجة ثلاث نواح هي :

أ – بيان الأصل الخلقي الذي تقوم عليه الفضائل .

ب – إصلاح المجتمع وحمله على السلوك القويم .

ج – إصلاح نظام الحكم وتقييده بالفضيلة لا يعدوهـــا .

أمـــا الناحـــية الأولى فهي قوام فلسفته وهي الجزء النظري منها وقد ابـــتدأ نظـــرياته الفلســـفية بنظرية تعيين المعنى واللفظ ، وتعيين الأسماء والمســـميات ذلك لأنه قد جاء في وسط اضطراب خلقي وتلاعب بالألفاظ لتوهيـــن الأخـــلاق فكان لابد من تعيين المعاني الدالة على الألفاظ ليثبت المعـــنى مستقيماً ؛ لكي لا يمكن التلاعب به وإفساد الاستدلال من طريق

= أســـرة تمت فى نسبها إلى فرع ملكى ، وكان أبوه حاكماً لإحدى المدن ، مـــات أبـــوه وهـــو فى الثالثة من عمره ولم يترك له من حطام الدنيا شيئاً ، تـــزوج وهـــو فى مقتبل حياته ولكنه فارق زوجته بعد سنين معدودة بعد أن أعقـــب منها ولداً وبنتاً ، عين فى بعض الأعمال الإدارية المتعلقة بالزراعة ، ثـــم حاكمـــا لإحـــدى مدن ولايته ، ثم نائباً لحاكم المقاطعة ثم وزيراً للعدل ، وكـــان فـــى كـــل هـــذه الوظائف يعمل على ترويض مرؤسيه على الأخلاق ويعطـــيهم مـــن نفســـه الأســـوة الحسنة فيقتدون به ، وفى حكمه ساد السلام وأظلـــت الفضـــيلة الجميع وكان هذا مثالا صالحاً لحكم الفلاسفة سبق أحلام أفلاطـــون وغيره من المثاليين ، وافته المنية عام ٤٧٨ وقيل عام ٤٧٩ ق . م بعـــد أن تـــرك تلامـــيذه الذيـــن أخذوا على عاتقهم بث دعوته فى الأقاليم الصـــينية حـــتى صار بعد ذلك مذهباً رسمياً لتلك البلاد من القرن الثانى قبل المـــيلاد إلـــى القرن العشرين " انظر الديانات القديمة للإمام أبى زهرة صـــ ٨٣ : ٨٨ الفلسفة الشرقية صـــ٢٤٦ .

ذلـك التلاعـب ومـن الأمـثلة علـى ذلك أنه قد جاء في كتاب الحوار لكونفوشـيوس " أن أحـد تلاميذه سأله " بأي شيء يبتدئ سياسته إن تولي حكـم الإمـارة ؟ فقال : لابد من تصحيح الأسماء " فدُهشَ التلميذ من هذا الجواب فقال كونفوشيوس : " إذا لم تكن الأسماء صحيحة لا يوافق الكلام حقـائق الأشـياء ، وإذا لم يكن الكلام موافقاً للحقائق وقع الخلط في اللغة وفسـدت الأمور ، فلا تزهر الآداب ولا الموسيقى ، ويضطرب التفكير ، ولا تـنزل العقوبـات على من يستحقها ، وإذا لم تنزل العقوبات على من يسـتحقها لا تعـرف الرعية كيف يحركون أيديهم وأرجلهم ، ولذلك يرى الـرجل الكـامل أن من الضروري أن توافق الأسماء مسمياتها ليمكن أن يـتكلم بها ، وأن يعمل بما يتكلم ، والرجل الكامل الخُلق لا يستهين بكلامه ولا يهمـل في تعبيره " [١] كما يعتقد كونفوشيوس أن النزوع إلى الخير والفضـيلة طبيعي فطري في الإنسان ولكن للإرادة المستقلة الموجودة فـي الإنسان وللشهوات واللذات التي يمكن استحواذها عليه يشذ عن دواعي الفطرة ونداء الطبيعة ويتجه إلى الشر .

وإذا كانـت النفس في أصل فطرتها الخير ، والشر انحراف عن الفطـرة ، فالحكيم إذاً من عمل على إحياء الفضيلة بتنمية قوى النفس الخيرة [٢] .

أمـا الناحـية الثانية من آرائه وهي : محاولته إصلاح المجتمع وحمله على السلوك القويم .

---

(١) انظر الديانات القديمة صـ ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) انظر المرجع السابق صـ ٩٨ .

ويكــون ذلك بأن يتمسك كل آحاده بقانون الأخلاق وقد سلك في حمل العامة على التمسك بقانون الأخلاق ثلاثة مسالك هي :

المسلك الأول : أنــه دعــا إلى احترام الآباء والعناية بشدة بتماسك الأســرة فمن أقواله المأثورة : " واجب الولد البر بأبويه إذا كان داخل المــنزل ، والاحــترام لذوي الأسنان إذا كان خارجه ، والصدق في أقواله ، والرحمة بالناس في كل أفعاله وأن يتقرب إلى الفضلاء .

المسلك الثاني : التدرج والرفق في الدعوة إلى الأخلاق فهو يقول: " مــن الــناس من تستطيع محادثته في العلم ولا يمكن أن نحمله معنا بمقتضى الفطرة ، ومنهم من تستطيع أن تسير بهم على الفطرة ، من غــير أن يكونــوا ذوي قدم ثابتة فيها ، ومنهم من يكون ذا خُلُق قويم شــديد التمسك بالفطرة والكمال الإنساني ولكن لا يمكننا مشاورته في تقديــر الشــئون " فكــل طبقة من هذه الطبقات لها حظ من الإصلاح تعالج به .

المسلك الثالث : القدوة والأسوة الحسنـة .

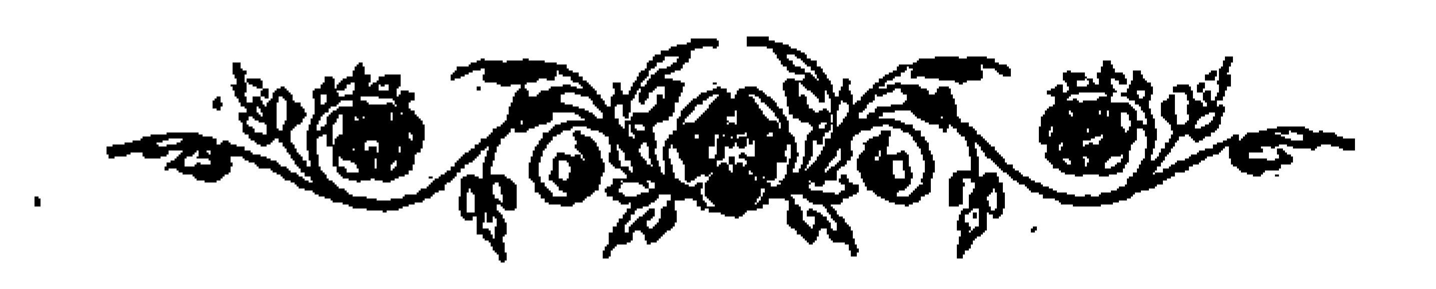
فهــو يــرى أن الــرجل الفاضل يستطيع أن يؤثر بسلوكه القويم أكــثر من أي بيان من غير أن يُتَّهم بالرياء في دعوته فهو الذي يقول لــتلامذته " أتظــنون أنــي أخفي عليكم شيئاً ما من أمر أعمله إلا فيه إرشادكم وهذه هي طريقتي في التربية [1]

---

(١) المرجع السابق صـــ ١٠٢ ، ١٠٣ بتصرف .

" ومجمـــل مـــا يقال في سياسة هذا الحكيم إنها الأخلاق الفاضلة .... ومـــا كـــان هو إلا نموذجا للحاكم الصالح حكم فلم يخالف حكمه آراءه ولـــم يباعد السلطان بينه وبين كلماته وقد قال فيه أحد تلاميذه " رتبـــته لا يمكـــن أن يصل إليها أحد كما أن السماء لا يمكن أن يصعد إلـــيها أحـــد ، لو كان له حظ من الإمارة أو الرياسة لصدق عليه قول القائل إن أقام الرعية قاموا سراعاً ، وأن هداهم سارعوا وإن أراحهم آووا مـــنه إلى ظل وارف ، وإن عاش ، عاش جليلاً وإن مات لقيت بموته النفوس حسرات ؟

ولا تـــزال الصـــين تجل هذا الفيلسوف ولا تزال آراؤه الخلقية نبراساً يهتدي به الكثرة الغالبة فيهم (١) .



(١) انظر الديانات القديمة صـــ ١١٠ .

المبحث الثالث

الأخلاق في الفكر اليوناني

إذا كـان قـد ظهر في بلاد الهند والصين ومصر وغيرها نواة البحـث الأخلاقـي علـى ما بيَّنا فيما سبق فإن من الحق القول وإن فلاسـفة الـيونان كـان لهم الفضل في إقامة المباحث الأخلاقية على مـبادئ ونظـريات علمـية وإذا كان " سقراط " المؤسس الأول لعلم الأخـلاق والواضـع الأول للقواعد والأركان التي قام عليها بناء ذلك العلـم في صورته التي نراه عليها ونظامه المعترف به " [١] . إلا أن هناك بحوثاً سابقة عليه في هذا المجال من أهمها ! :

١ـ فيثاغورث [٢] .

غلب على مذهب فيثاغورث الأخلاقي النزعة الصوفية الروحية التي تقوم على اعتبار أن الخير في انتصار الروح على الجسد ، وأن

---

(١) العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع صـ ٢٤٠ .

(٢) ولـد بجزيـرة سـاموس مـن أعمال آسيا الصغرى ، ثم ارتحل إلى بلاد الشـرق في طلب العلم ، ثم استقر به المقام في جنوب إيطاليا ، كان رياضياً بارعـاً كمـا كان قوي العاطفة الدينية فجمع بين العلم والدين كان مقتنعاً بأن العلـم وسيلة فعالة لتهذيب الأخلاق وتطهير النفس ، ومما يذكر عنه أنه هو الـذي وضع لفظة " فلسفة " إذ قال : لست حكيماً فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهـة ما أنا إلا " فيلسوف " أي محب للحكمة وهو أول من قال بالتقمص أو التناسـخ في اليونان " انظر دروس في تاريخ الفلسفة صـ ٥ ، ٦ ، إبراهيم مدكور ط المطبعة الأميرية – القاهرة ١٩٥٠ .

الفضـــيلة فـــي الإعراض عن الشهوات ، وأن العفة جهاد بين العقل والغرائـــز ، وعلـــى الرغم من هذه الصيغة الروحية التي تكونت بها الأخـــلاق الفيـــثاغورية يمكـــن القـــول بـــأن أخص ما يميز المذهب الفيـــثاغوري أن العدل هو جوهر الفضائل وأن أدق ما يمثله هو العدد المـــربع ومـــن ذلك يتبين لنا أن الجانب الرياضي في الفيثاغورية قد شـــمل الجانب الأخلاقي أيضاً في فكرهم وقد استخدمت فكرة التربيع فـــي التعبير عن التناسب الدقيق في مجازاة كل بما يستحقه ذلك الذي اعتـــبر فـــي العـــادة جوهر العدالة في القصاص ، وكذلك الحال في القضـــايا التي قرروا فيها أن الفضيلة وسلامة الجسم " انسجام " وأن الصداقة " تعادل في الانسجام " وكذلك في تصنيفهم للخير مع الوحدة والجـــد والاستقامة ، وللشر مع أضداد هذه الصفات [١] وقد تركت هذه الأخـــلاق الفيـــثاغورية أثراً عظيماً في مذهب أفلاطون إذ نجد فيها " نواة الـــنظرية التي قرر فيها أن الخير في السلوك الإنساني كالخير في الطبيعة الخارجية والآثار الفنية يستند إلى علاقات كمية معينة في عناصر النتيجة الخـــيرة ، وهـــــذه العلاقات ذات نسب دقيقـــة بحيـــث يمتنع الإفراط أو التفريط [٢] ومن تعاليمهم الأخلاقيـــة :

" وجـــوب العـــزوبة والشيوعية في المال ، وإطالة السكون ، وترديد الصـــلوات والفـــناء ، ومحاسبة الضمير ، وفي هذا يقول أحدهم : لا تدع

---

(١) المجمـــل فـــي تـــاريخ علم الأخلاق د/ توفيق الطويل ، عبد الحميد حمدي صـــ ٨٥ – ط – دار الفكر العربي .

(٢) المصدر السابق صـــ ٨٥ .

أبداً جفنيك يستسلمان للنوم قبل إن تعرض على عقلك أعمال يومك فتسأل نفســك قائلاً : فيم قصرت ؟ ماذا أضعت ؟ ماذا نسيت أن افعله مما أمرت بــه ؟ فــإذا انتهيت من هذه الأسئلة فراجع أعمالك واحداً بعد واحد ، فإذا وجــدت نفســك قد اقترفت زلة فاستحى منها ، واندم عليها ، وإذا كنت قد فعلــت خــيراً فاســتمتع بــه [١] وبهــذه الآداب السامية التي كانت لدى الفيثاغوريين يمكننا القول بأنهم " هم الذين وجهوا الفلسفة اليونانية وجهتها العقلــية والروحــية التــي ســتبدو أوضــح على أيدي سقراط وأفلاطون وأرسطو [٢] .

٢ - *هيراقليطس* [٣]

إذا كــان الوجود في نظر هيراقليطس في تغير مستمر ومن قانون

---

(١) انظــر الفلســفة الإغريقــية د. غــلاب ج١ صـــ ٦٣ ، ٦٤ ، دروس في تاريخ الفلسفة صـــ ٦ .

(٢) دروس في تاريخ الفلسفة صـــ ٦ .

(٣) فيلســوف يونانــي ســابق علــى سقراط ، ولد في مدينة " أفسوس " بآسيا الصــغرى مــن أســرة ملكية ، قال بالتغيير الدائم ، واشتهر بالغموض فقيل عــنه " الفيلســوف الغــامض " بسبب أنه كان يطيب له المفارقات والأقوال الشــاذة وكــان يعــبر عنها بلغة مجازية أو رمزية ، ومن هنا لُقب بصاحب الألغــاز ، وكــان يعــتقد أنه امتلك ناصية الحقيقة الأبدية ، وأنه لم يأخذ من أحــد من المفكرين ، بل فكر بنفسه وتعلم كل شيء من نفسه ، ومن نظرياته الفلســفية القــول " باللوغوس " Logosa " وهو العقل الإنساني والمبدأ الذي يحكــم العالم ، أو القانون الذي وفقاً له يترتب العالم وهذا " اللوغوس " شامل ســائد في كل الكون ، لكنه يتصوره تصوراً مادياً على أنه كيان مادي من =

عـــام " فعلى المرء أن يكون ذا سلوك متفق مع قانون التغير العام ، وأن يـــتحمل مـــا يصادمه بكل هدوء وارتياح ، وأن يقمع شهواته لأن الشهوة تؤكـــد الشخصـــية وهي انتقاد للقانون الطبيعي العام ومعارضة للتغير [1] وعلـــى هـــذا " فإدراك الصيرورة وقانونها هو رسالة الإنسان في الحياة ، وهـــو السبيل إلى السعادة لأن في تفهم قانونها شعوراً بالاطمئنان والرضى ما دمت تعلم أن قوامها الجمع بين الأضداد ، فلا ينسجم الكون ويتناغم إلا إذا الـــتقى الخـــير والشـــر ، ولا يســـتقيم إلا مع السرور والألم ، والبقاء والفناء"[2] .

وهـــذه الـــنظرية التفاؤلـــية إلى العالم هي أظهر ما في المذهب على الـــرغم ممـــا يـــبدو فـــيه من مظاهر الشقاء والشر والقتال فهي في نظر هيراقلـــيطس ليست إلا أوصافاً ظاهرية تدرك بمقتضيات عقولنا البشرية ، وهـــذه الـــنظرية الأخلاقـــية الكونية نحو الأشياء قد جعلت بعض الباحثين يعـــتقدون أن هيراقليطس قد توصل بوجه خاص إلى " الانشراح والسرور " الـــذي قـــيل أن هيراقلـــيطس كـــان يعتبره الخير الأسمى ، وقد تأثرت الرواقـــية بهذه النظرية حين استخدموا هذا اللفظ نفســـه للتعبير عن حالة

= عنصـــر النار ، كما قرر أن الانسجام هو دائماً نتاج المتقابلات ، وإن كل شـــيء فـــي حـــركة مستمرة وتغير ، وأن العالم نار حية دائمة البقاء " انظر موســـوعة الفلســـفة د. عـــبد الرحمـــن بدوي ج٢ صـــ ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ١ ١٩٨٤م .

(١) دروس في الفلسفة صـــ ٦ .

(٢) تـــاريخ الفلســـفة اليونانية – يوسف كرم صـــ ٢١ ، قصة الفلسفة اليونانية صـــ ٤٦ .

مماثلة للإذعان للشرائع الإلهيــة عن رضا وطواعيــة [١] .

٣ - ديموقريطس [٢] .

هــو صاحب فلسفة " الذرة " التي لا تقر في الوجود إلا ما هو مادي وبناء على هذا فلا مطمع للإنسان في شيء وراء هذه الأشياء المنظورة ، وعليه أن ينظر إلى الأشياء نظرة نفعية ، فالخير إذاً هو ما يجر نفعاً ولذة ، والشر ما يجر ضراً وألماً " [١] وإذا كان ديموقريطس لا يعترف إلا بما هــو مــادي فقط فقد كانت فلسفته الأخلاقية على هذه الشاكلة المادية ومن مظاهــر ذلــك أنــه كان يرى أن السرور أو المرح هو الخير الأسمى أو الأقصــى وتوحــيده بيــن هــذا الخير وبين اعتدال مزاج العقل وهدوئه فأخلاقــياته تقوم على الأثرة والأنانية وحب الذات والأفكار التي أقرها في مجــال السلوك العملي تؤيد ذلك ومنها قوله : إن ارتكاب الظلم أسوء من احتماله وقد تأثر المذهب الأبيقوري بهذه الأفكار .

---

(١) انظر المجمل في تاريخ علم الأخلاق صــ ٨٦ .

(٢) فيلســوف يونانــي اشــتهر بأنه صاحب مذهب الجوهر الفرد أو المذهب الــذري ، ولــد في إيديرا من أعمال تراقية ، ورحل إلى بلدان كثيرة واستمع إلــى كثــير مــن العلماء وألف موسوعة كبرى في أشتات العلوم والفنون لم يصــل إلينا منها سوى شذرات متفرقة . وبينما كان " الإيونيون" " وأنباذ وقليس" يــردون الأشياء إلى مادة واحدة معينة ، أو عدة مواد معينة كذلك ، ردها هو إلــى الامــتداد ، ليس غير ، دون أية كيفية أو علة خارجة عن الجواهر مثل المحــبة والكراهية ، أو باطنة فيها مثل التكاثف والتخلخل ، بل اقتصر على الحــركة وجعلهــا ذاتــية للجوهر ، فكان أبا المذهب المادي ، وعلم الطبيعة الحديث " دروس في تاريخ الفلسفة ، إبراهيم مدكور صــ ٨ ، ٩ " .

السوفسطائيون [١] .

سلك السوفسطائيون مسلك ديمقريطس في إرجاع المعرفة إلى الإحساس ومسلك هيرقليطس في التغير المتصل وانتهوا من هذا إلى اعتبار الفرد مقياس الأشياء جميعاً فيما قال أحد أعلامهم " بروتاجوراس " وبذلك أصبحت الحقائق لديهم وليدة الإحساسات والانطباعات الذاتية ، وبطل القول بوجود حقيقة موضوعية مستقلة عن الفرد وظروفه ، وتعددت الحقائق تبعاً لتعدد مدركيها والحالات التي تطرأ عليهم ، ومتى امتنع القول بوجود حق في ذاته ، أو باطل في ذاته ، أمكن أن يصدق النقيضان وأن يمتنع الخطأ .

---

(١) معنى كلمة سوفسطائي في أصله اليوناني : " معلم بيان " فلما أساءوا استعمال الجدل وأصبحوا مغالطين ومعلمي مغالطة تحول معنى اللفظ تبعاً لذلك وشاع بهذا المعنى في العربية وفي اللغات الأوربية الحديثة إذ كانوا يطوفون في المدن يلقون الخطب الخلابة ويتحدثون فيما يقترح عليهم من موضوعات تأييداً لرأي أو نقضاً له ، أو تأييداً أو نقضاً على التوالي ، لا لغرض بيان الحق بل لعرض الدلالة على مقدرتهم الخطابية والجدلية فيلتف حولهم شباب الأسر الغنية يطلبون منهم دروسا في الجدل فيتقاضون أجوراً عالية ، وكانوا يعتمدون في حوارهم على الألفاظ المشتركة يلعبون بمعانيها فيبهرون السامع أو يربكون الخصم ، وكانوا يعارضون المذاهب الفلسفية بعضها ببعض دون أن يشتغلوا هم بالفلسفة ، ويعارضون الأخلاق والعادات والعقائد بعضها ببعض ، فشككوا الناس في العقل والحق والخير والشر والعدل والظلم ، كما دافع بعضهم عن الشهوة الأمارة بالسوء فسماها الطبيعة ، انظر دروس في الفلسفة صـ ١٠ ، ١١ .

وقــد شــملت هذه النظرية السوفسطانية الأخلاق أيضًا فأصبح الفرد مقــياس الخير والشر كما كان عندهم مقياس الصواب والخطأ ، وإذا كانت الحقــائق فــي مجال المعرفة نسبية متغيرة ، وليست مطلقة ثابتة ، كانت القــيم والمــبادئ في مجال الأخلاق نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان ، وتخــتلف باخــتلاف الظــروف والأحــوال (١) ومن الأفكار التي تتصل بــالأخلاق عــند السوفسطائية أيضاً " فكرة التفرقة بين الطبيعة والقانون ، وأن القــانون مــن صــنع الضعفاء قد وضعوه للقضاء به على الأقوياء ، والدولــة تــبعاً لهــذا من صنع الضعفاء وهي شر ، والطبيعة هي الخير والسير على الطبيعة هو الأساس ، وعلى هذا تكون الطبيعة منافية للقانون وهي التي يجب أن تكون المشرّع ، أما القانون فلا يجب أن نخضع له(٢).

" وليســت الفضائل التي تعارف عليها الناس إلا رذائل مقنعة ، فتمجيد العفة مرجعة إلى العجز عن إشباع الشهوة ، وامتداح العدل مرده إلى القصور عــن الــتفوق علــى الآخرين ، وما ذلك إلا لأن المشرعين كانوا في مجتمع كــثرته الســاحقة من الضعفاء الذين أرادوا بقوانين الأخلاق حماية مصالحهم الشخصــية ، وتفــادي الخضــوع لسيطرة الأقوياء " (٣) وقد ترتب على هذه الأفكــار ضياع مقياس الفضيلة والرذيلة والخير والشر وتهدم المثل واهتزاز قــيم كثــيرة في المجتمع وهذه الأخطاء الأخلاقية قد مهدت الطريق لمن أتى بعدهــم مــن الفلاســفة إلى بذل الجهد نحو رسم الطريق السليم للملائمة بين متطلبات الفرد ومنفعته وبين المنفعة العامة للمجتمع ككل .

---

(١) انظر فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها د. توفيق الطويل صــ ٤٨ .

(٢) انظر خريف الفكر اليوناني د. عبد الرحمن بدوي صــ ١٧٣ .

(٣) فلسفــة الأخلاق نشأتها وتطورهــا صــ ٤٩ .

سقـــراط [١] .

تصـــدى ســـقراط لمغالطـــات السوفســـطائية التي تستهدف زعزعة المـــبادئ الأخلاقية والاجتماعية مما دعاه إلى الاهتمام في فلسفته بالإنسان وســـلوكه بعـــد أن كـــان هذا البحث يشغل مكاناً ثانوياً في البحث الفلسفي السابق عليه إذ أنه لم يهتم بدراسة الطبيعيات أو الرياضيات ووجه النظر إلى دراسة الإنسان وسلوكه وهذا معنى قول " شيشرون " أن سقراط أنزل الفلســـفة من السماء إلى الأرض ، أو أنه حول النظر من الفلك والعناصر إلـــى النفس" [٢] والفكر الأخلاقي عند سقراط مبنى على رأيه في المعرفة فـــإذا كـــان السوفسطائيون قد أقاموا المعرفة على أساس الحس وأن الفرد هـــو مقـــياس الأشياء جميعا ولذلك تتعدد الحقائق بتعدد مدركيها ولا يوجد حـــق أو بـــاطل فـــي ذاته وبناءً على هذه النظرية في المعرفة تكون القيم

---

(١) فيلســـوف يونانـــي " ولـــد فـــي أثيـــنا سنة ٤٦٩ق.م ، وغلبت عليه العناية بالمســـائل الأدبـــية والخلقـــية والاجتماعية التي كان يثيرها السوفسطائيون ، واتخـــذ لنفســـه فـــيها موقفاً معارضاً لموقفهم وجادل مثلهم ... وأسخط جدله نفـــراً مـــن الشـــعراء والخطـــباء والسياسيين ، فاتهمه ثلاثة من مواطنيه في أواخـــر أيامـــه بأنـــه ينكر آلهة اثينا ويقول بآلهة آخرين ويفسد عقائد الشباب وطلـــبوا له الإعدام بالرغم من أن البواعث على الاتهام كانت شخصية ولكن المتهميـــن آثـــاروا القضـــاة علـــيه بالإضافة إلى نفور القضاه منه لما ضمن دفاعه عن نفسه من ترفُع وتحد فحكموا عليه بالإعدام وأقترح عليه أصدقاؤه الهـــروب ولكنه أبي فلما حل الأجل شرب السم ومات منه ٣٩٩ ق.م " انظر دروس في تاريخ الفلسفة صـــ ١٢ .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية – يوسف كرم صـــ ٥٣ ، ط دار المعارف .

والمبادئ الخلقية نسبية متغيرة بتغير الزمان والمكان والأشخاص ؛ لذا حرص سقراط على إقامة دعائم الأخلاق على مبادئ ثابتة فرأى أن لزاما عليه أن يهدم نظرية السوفسطائين في المعرفة أولاً لأنها أساس البناء الأخلاقي لهم ، فأقام الحقائق الثابتة على العقل في ميدان المعرفة بعد فصله بين موضوع العقل وموضوع الحس ، وأصبح يرى أن الإنسان له عقل وجسم وأن قوة عقله هي التي تسيطر على دوافع الحس ونزواته " (١) .

فإذا كانت الأخلاق تتعارض مع الجانب الحسي الغريزي في الإنسان فإنها تتوافق مع الجانب العقلي الإنساني أو القوانين العادلة تصدر عن العقل ويعدها صورة مطابقة للقوانين غير المكتوبة التي رسمها الآلهة في قلوب البشر ، فالذي يحترم هذه القوانين فإنه يحترم العقل والنظام الإلهي أيضاً ، وحتى إذا احتال البعض لمخالفتها تفادياً للعقاب الذي قد يتعرض له في الدنيا إلا أنه سيؤخذ بالقصاص لا محالة في الحياة العقلية(٢) وقد جعل سقراط من المعرفة أساساً لكل الفضائل الإنسانية " ذلك أنه رأى أن كثيراً من المضار التي تنزل بالإنسان إنما تنتج عن جهله بالنفس وإمكاناتها ومن ثم فإنه دعا الإنسان – كي يمكنه أن يعيش كما ينبغي إلى أن يعرف نفسه لأن كل من يعرف نفسه يعرف النافع والضار ، ويميز بين ما يمكنه القيام به وما يعجز عن تحقيقه ولا يستطيع إنسان أن يعرف الخير إلا إذا عرف أولاً ما هو الخير ومن هنا فإن العمل الأخلاقي عند

---

(١) الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام . مصطفى حلمي صـ ٣٤ .

(٢) الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام صـ ٣٤ .

سقراط مؤسس على المعرفة ، ويجب أن يصدر عنها [١] .

الفضيلة عند سقراط :

يرى سقراط أن الإنسان خيِّرٌ بطبيعته والشر شيء عارض لديه ويأتي الشر من الجهل بحقائق الأشياء الفاضلة وكان مقصده من ذلك أن يوحد بين المعرفة والفضيلة وأنه متى حصل للإنسان معرفة بحقائق الأشياء ، فإن ذلك يؤدي به إلى اقتنائها .

" وأن الإنسان لا يمكن أن يعرف الخير ولا يأتيه ، كما لا يمكن أن يعرف الشر ويأتيه ، فمعرفة كل منهما معرفة واضحة صحيحة تنجي من الوقوع في الشرور وارتكاب الرذائل ، بحيث لا يرتكب الشر إلا عند الجهل به ، ولا يتجنب الخير إلا عند الجهل به كذلك ، فكل الناس – وعلى الأخص العقلاء منهم – إنما ينشدون الفضيلة ، ويجدون في طلب الخير مهما اختلفوا في تحديد مفهوميهما وفي شرح معنيهما [٢] وترتب على توحيده بين الفضيلة والمعرفة أن أصبحت الفضيلة ممكنة التعليم شأنها شأن المعرفة ، وإن لم يكن تعلمها ميسوراً كالعلوم العقلية لأنها تستند إلى عوامل أخرى كالوراثة والبيئة .

وقد لاقت نظرية سقراط هذه اعتراض كثير من الباحثين وعلى الأخص أرسطو الذي يرى أن ما يقع الإنسان فيه من الإثم ليس ناشئاً عن جهل بطبائع الأشياء إنما منشئوه فساد في الخُلق يحمل الإنسان على

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية صـ ٥٣ .

(٢) العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع د.عبدالرحمن بيصار ص٢٤٢ .

تفضـــيل الشـــر علـــى الخير وهو عالم بهما ، وبقيمه كليهما جميعا ، فإن الشرير لا يجهل ما يفعل من سوء بل هو معجب بنفسه وفيما هو سار فيه مـــن الـــرذيلة وحينئذٍ لا تكون الفضيلة والعلم متماثلتين ، فقد يعلم الإنسان ولا يعمـــل ، وقد يعمل ضد ما يعلم وبالإضافة إلى ذلك إذا كانت الفضيلة هي العلم كما يقول سقراط ، لوجب على الإنسان أن يقتصر على أن يعلم لـــيكون فاضلاً (١) وقد رفضت المسيحية هذا الرأي أيضاً ورأت أن القلب النقي الطاهر يمكن أن يوجد في الجاهل كما يوجد في العالم(٢).

وقـــد رد أحـــد الباحثين على هذه الشبهة بقوله : " إن السبب في هذه الزلة أن سقراط قد تصور الناس على صورته وكان فوق صفات الضعف التـــي تضاف إلى غيره من الناس ومن ثم استطاع أن يسيطر على نزواته وأهوائه ، وأن يجعل سلوكه العملي صورة دقيقة من تفكيره النظري .

ومـــن الانـــتقادات التي وجهت إليه أيضاً : أنه وقع في تناقض حين اعتبر الفضيلة والرذيلة لا إراديتين ، بمعنى أن من عرف الخير أتاه على غير إرادة منه ، ومن أدرك الشر تفاداه لأن ارتكابه لا يكون إلا عن جهل ومـــع هـــذا صـــرَّح بـــأن الفضيلة يمكن أن تُعلَّم فهي إذاً ممكن أن تأتي بالإرادة والاختيار !! (٣) .

ومهمـــا وجـــه إليه من نقد أو ورد عليه من اعتراض لا نملك إلا أن نســـجل له فضـــل الســـبق إلى البحث في جعل قواعد الأخلاق ثابتة غير متغـــيرة ، وجعـــل مقـــياس الخـــيرية والشرية موضوعياً لا يتوقف على

---

(١) انظر الأخلاق إلى نيقوماخوس المقدمة صـــ ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها د. توفيق الطويل صـــ ٥٧ .

(٣) انظر المرجع السابق صـــ ٥٦ ، ٥٧ .

مصـــالح الناس وأمانيهم ، ولا يتغير بتغير زمان أو مكان ، وقد بقيت هذه الموضوعات مثارًا للجدل عند المحدثين والمعاصرين من الفلاسفة " كما أنـــه لا يـــزال مضرب المثل للضمير الإنساني الحي ، وللنمط الأخلاقي الخـــالد ، والمقـــياس العـــادل للسلوك الإنساني مهما بالغ في المثالية ، أو أهمل الجانب الحسي المادي من الطبيعة الإنسانيـــة " (١) .

رأيه في السعادة :

يـــرى ســـقراط أن الإنســـان متى حصل على الفضائل بتجنب الشر وممارســـة أفعال الخير حصلت له " السعادة " التي لا يمكن أن تبني على أساس من المادة أو الشهوة وإنما تبنى على أساس عقلي ونفسي يشعر فيه الإنســـان بالرضا والانسجام التام بين رغباته وبين الطبيعة الحقـــة له ... فليســـت الســـعادة في الجمال ولا الثراء ولا القوة ولا المجد ولا شيء من هـــذه الأشـــياء وإنما في المعرفة الصحيحة التي ترفع الشخص إلى اقتناء الفضـــائل واجتـــناب الرذائل ، وإلى تحقيق السعادة لنفسه بالعمل على أن تكـــون رغـــباته مطابقة للطبيعة الإنسانية وما زودت به من ملكات فكرية وطاقـــات عقلـــية ، وقيم روحية ... وعلاج الأشرار دائماً يكون بتعليمهم النـــتائج الســـيئة التـــي تترتب على ما يصدر عنهم من أفعال ، وتعودهم الخـــير بحيث يصيرون مصدراً للفضائل وتعليمهم النتائج الحميدة للأعمال الحســـنة ، ومن هنا كانت واجبة في نظره فالإنسان الخير هو الذي يعرف مـــا يجـــب عليه من أعمال ، كما أن الملك الصالح هو الذي يعرف بحق كيف يحكم الناس حكما عادلاً " (٢) .

---

(١) العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع صـــ ٢٤٤ .

(٢) انظر العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع صـــ ٢٤٣ .

الفكر الأخلاقي عند أفلاطون (١) .

تأثــر مذهب أفلاطون الأخلاقي بمن سبقه من الفلاسفة وعلى الأخص أستاذه سقراط ، الذي تعلم الحكمة على يديه وظل يرافقه إلى أن نفّذ فيه حكم الإعــدام ولكن ولاءه لأستاذه وحبه له لم يفقده شخصيته ولم يجعل منه مجرد نــاقل " أو مقلد " لأراء أستاذه ، فإن كان قد اتفق معه في الأصول فقد اختلف معه في الفروع ، بل وزاد عليه في بعض النقاط التي أسهمت في دعم أسس مذهبه الأخلاقي ، فإن كان أفلاطون مدينا لأستاذه سقراط في كثير من الأفكار والآراء الخلقية إلا أن له إضافات تجعله بحق امتدادًا متطورًا لسقراط .

---

(١) فيلســوف يوناني " ولد في أثينا سنة ٤٢٧ وقيل ما بين سنتي ٤٢٩ ، ٤٢٧ ق . م . مــن أســرة عــريقة ، أخذ بحظ وافر من العلوم الرياضية والأدب اليونانــي ، ثــم قرأ كتب الفلاسفة ، ولما بلغ العشرين عرف سقراط فأعجب بــه ولازمه حتى النهاية ثم لحق بإقليدس في ميغاري ومكث بها حوالي ثلاث ســنين فــتأثر بالجدل الميغاري وبالمذهب الإيلي ، ثم سافر إلى مصر وبقى فــيها نحــو العــام واتصل بالمدرسة الكهنوتية في عين شمس ، ثم رجع إلى بلــده ، وبــدأ يكتــب وينشر ، ثم أنشأ سنة ٣٨٧ مدرسة في أثينا تطل على بســتان " أكــاديموس (بطل من أبطال الأساطير) وسميت لذلك بالأكاديمية وظل يكتب ويعلم أربعين سنة حتى توفى سنة ٣٤٧ ق.م " .
" انظر دروس في تاريخ الفلسفة صــ ١٥ ، ١٦ " .
هــذا وكلمــة أفلاطــون ليست الاسم الحقيقي لهذا الفيلسوف الشهير ، وإنما اســمه " أريستوكليس " وكلمة أفلاطون مأخوذة من كلمة " بلاتون " ومعناها العــريض وهو لقب أطلقه عليه معاصروه ، لأنه كان عريض الوجه مبسوط الكفين . انظر " الفلسفة الإغريقية د. غلاب ج١ ص ١٨٦ .

رأيه في المعرفة :

تـابع أفلاطون رأي أستاذه سقراط في موقفه من السوفسطائية الذين ردوا المعـرفة إلـى الحـس وأطاحوا بالحقائق الثابتة في مجال المعرفة وأبطلـوا القـول بالمبادئ المطلقة في مجال الأخلاق ، وترتب على هذا القضـاء على موضوعية الحقائق والقيم جميعاً ، لأنها تتوقف عندهم على الجانـب الوجدانـي في الإنسان ، ومن ثم يتعذر إقامة قانون أخلاقي عام وكلـي ، وبعـد أن بحث أفلاطون في المعرفة من كل وجوهها انتهى إلى القـول بأن " وراء إدراك عوارض الأشياء والمعرفة الظنية بالمحسوسات تقـوم الماهـيات المتحققة في الأشياء ، والماهيات المفارقة للمادة وهي " المُـثُل " وهي عنده مبادئ المعرفة ومعايير الأحكام ، والخير أسمى المثل وهـو مصـدر الوجـود والكمـال ، فخالف سقراط من حيث أنه تجاوز الماهيات المتحققة في المحسوسات إلى ما أسماه بالمثل " (١) .

وقـد صـرح أفلاطون بأننا إذا أردنا أن نقيم قانوناً أخلاقياً فلا بد أن يكـون قانوناً عاما مشتركاً بين الناس جميعاً وملزما للجميع في كل زمان ومكـان ولا يتحقق ذلك إلا بإقامته " على أسمي جانب مشترك في طبائع البشر وهو العقل" (٢) وبذلك كان له دور كبير في إبطال الاتجاه السوفسطائي الـذي أقام الأخلاق على الوجدان بل وزاد خطوة عن موقف سقراط تجاه السوفسـطائية بقوله " إن الفعل الخلقي يتضمن جزءاً في باطنه ويحمل في ذاته مبررات فعله ، وقيمته باطنية ذاتية بمعنى إن الإنسان الفاضل

---

(١) فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها د. توفيق الطويل صـ ٧٣ .

(٢) م . السابق صـ ٧٤ .

لا يقدم على الفعل الخيِّر رغبة في تحقيق لذة ، أو جلب منفعة ، وإنما يأتيه لذاته باعتباره غاية في نفسه ، فقضى بهذا على رأي السوفسطائية الذيـــن وضـــعوا غاية الأخلاق خارجها وربطوا الخيرية باللذة التي تنجم عنها [١] .

الفضيلة عند أفلاطـون :

ذكـــر أفلاطـــون أن للـــنفس قوى ثلاثة هي القوة الغضبية ، والقوة الشهوانية والقوة المدركة " العقل ولكل منها وظيفة معينة وفضيلة خاصة.

والفضائل عنده أربعة ثلاث منها تدبر قوي النفس وهي :

١- الحكمة فضيلة العقل تكمله بالحق ، وهي أولى الفضائل ومبدؤها

٢- العفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء .

٣- الشـــجاعة فضيلة القوة الغضبية وفضيلتها القوة ومما لاشك فيه أن وجود هذه الفضائل إنما يكون أثراً لتنظيم حدود كل قوة من هذه القوى ووصـــولها إلى مرحلة الاعتدال ، فإذا وصل الإنسان مثلاً بالقوة الغضبية حـــد الاعـــتدال بين الجبن والتهور كان شجاعاً ، ومتى كان في حالة بين إماتـــة الشـــهوات وإطلاقهـــا كان عفيفاً ... وهكذا وهذا التعادل بين قوى الـــنفس يســـميه أفلاطـــون فضيلة العدالة وهذه العدالة ليست على المعنى المـــتعارف علـــيه لديـــنا وإنما المقصود بها : تعادل قوي النفس بواسطة العقل [٢] .

---

(١) م . السابق نفس الصفحـــة .

(٢) انظر تاريخ الأخلاق – محمد يوسف موسى صـــ ٧٨ .

وقـد بحث أفلاطون في الخير المطلق للإنسان وهل هذا الخير يكون في اللذة أو الثروة أو الشهرة يقول د. توفيق الطويل : " يبدو أن أفلاطون قـد تذبذب في عدة اتجاهات بصدد هذه المسألة فبعد أن كان في محاورة " بـروتاجوراس " يؤكـد في وضوح أن اللذة هي الخير تحول إلى الرأي المعـاكس لذلـك وأنكر إنكاراً باتاً في محاورتيه فيدون وجورجياس أن تكـون اللـذة خيراً فاللذة باعتبارها شيئاً محسوساً وعابراً ليست إلا عملية وطبيعي ليست هي الخير الحقيقي الذي ينشده الفيلسوف ... " (١).

وقـد لاحظ بالإضافة إلى هذا أن الوجدانات التي أدركت في وضوح علـى أنهـا لـذات تتصل بالألم اتصالاً وثيقاً ، كما أن الخير لا يمكن أن يصـاحب الشر إذا كانت اللذة ليست إلا إشباع لرغبات آلية تنتهي بزوال هـذه الرغبات إذا فإدراك الناس لبعض اللذات على أنها خير لا يتأتى إلا مـن نـزوع اللـذات إلـى إحداث خير آخر ، واللذة التي تتصل بآلاف الرغـبات لذة دنيئة فالسعادة ليست في إرضاء الشهوات والانطلاق وراء الملذات ولكنها في اتباع الفضيلة •

فـإذا مـا حصـلت هـذه القـوى الثلاثة في النفس تحقق فيها النظام والتناسـب ، وحالـة الـنظام والتناسب الحاصلة للنفس تسمى العدالة ... ومـتى حصـلت هذه العدالة للنفس استتبعت السعادة حتما مهما كان حال الجسم وشئون هذه الحياة) (٢) .

---

(١) المجمـل فـي تاريخ علم الأخلاق– د. توفيق الطويل ، عبد الرحمن حمدي ص١١٦ .

(٢) انظر الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام صـ ٣٧

فالسعادة هي حالة باطنية " يظهر فيها جمال النفس وصحتها وسيطرة الجـزء الإلهي فيها على الشهوات ورغبات الجسد وهذا هو الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان " [١].

وقد تأثر معظم الفلاسفة المسلمين بأفلاطون في تحديد أصول الفضائل بـناءً علـى تقسيم قوي النفس إلى ثلاث الناطقة والشهوية ، والغضبية ، فحيـن تحدث ابن مسكوية عن أصول الفضائل قسم قوي النفس إلى ثلاث، الـناطقة والشـهوية ، والغضـبية " فالقوة الناطقة هي التي تسمى الملكية وآلـتها الدماغ ، والقوة الشهوانية وهي التي تسمى بالبهيمة وآلتها الكبد ، والقـوة الغضبية وهي التي تسمى بالسبعية وآلتها القلب ، وعدد الفضائل يكـون بحسب عدد هذه القوى ، فإذا كانت حركة النفس الناطقة معتدلة ، وكـان شوقها إلى المعارف الصحيحة لا المظنونة حدث عنها فضيلة العلم وتتـبعها الحكمة ، ومتى كانت النفس البهيمية معتدلة ... حدث عنها العفة ، أمـا فضـيلة الشجاعة فتظهر في الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة الممـيزة واسـتعمال ما يوجبه الرأي في الأمور الهائلة وإذا أدت كل قوة مـن قـوى النفس وظيفتها الخاصة بها ظهرت فضيلة العدالة [٢] فالعدالة هي جماع الفضائل .

ومـن الفلاسـفة المسلمين الذين تأثروا بأفلاطون في ذلك " الغزالي "

---

(١) تـاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام د. أبوريان صـ ٢٤٨ ط / دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية .

(٢) تهذيـب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكوية صـ ٢٦ ، ٢٧ ، تحقيق ابن الخطيب ط المطبعة المصرية ومكتبتها ، ط١ .

ففـــي حديـــثه عــن حســن الخلق يرى أنه إذا كان الخلق هو هيئة النفس وصــورتها الباطــنة ففي الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حــتى يــتم حسن الخلق ، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصــل حسن الخُلُق وهم : قوة العلم ، وقوة الغضب وقوة الشهوة ، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاثة (١) .

وقــد اتفــق رأي الفارابي في النفس مع رأي أفلاطون حيث قرر أن الســعادة العظمى للنفس لا تأتي إلا إذا تخلصت من قيود المادة وصارت عقــلاً بــالفعل ، وأن السعادة العظمى تطلب لذاتها لا لشيء آخر وراءها ويكون ذلك بتحرر النفس من قيود المادة ، يقول في ذلك " إنما تبلغ النفس ذلــك بأفعــال إرادية بعضها أفعال فكرية ترمي إلى معرفة علوم الفلاسفة القدمــاء ، وبعضــها أفعــال بدنــية ، وليست بأي أفعال اتفقت بل بأفعال محدودة مقدرة تحصل على هيئة ما ، وملكات ما مقدرة محدودة ، إن من الأفعــال الإراديــة ما يعوق عن السعادة ، والسعادة هي الخير المطلوب لذاته ، وليست تطلب أصلاً ولا في وقت من الأوقات لينال بها شيء آخر ، وليس وراءها شيء يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها " (٢).

" والوجود الحقيقي لا يكون لغير المثل أما المحسوسات فمجرد أشباح للمــثل صــيغت على نمطها ، فالتباين القائم بين العالم المحسوس والعالم

---

(١) إحــياء علــوم الديــن ج٣ ، ط / دار إحياء الكتب العربية – مكتبة عيسى الحلبي .

(٢) آراء أهــل المدينة الفاضلة ، تصحيح عيد الوصيف صــ ٤٦ ، ط / مكتبة الحسين ، ط/ ٢ – ١٩٤٨م .

المعقــول قــد تحول إلى تقابل في القيم بمعنى أن المادة أصبحت مبدأ كل شر ، والعقل أساس كل خير " (١)

فمن الواجب الانصراف عن الجزئيات تلك الأشباح الزائلة ، والصور الخادعــة ، والخيرات الزائفة والتعلق بالجمال بالذات علة الجمال المتفرق في الأشياء والمقصد الأسمى للإرادة في نزوعها إلى المطلق ... " (٢).

الفكر الأخلاقي عند أرسطو (٤)

إذا كانت الأخلاق عند أفلاطون تتسم بنزعتها المثالية الروحية البعيدة عــن الواقــع فقــد كان أرسطو أدنى إلى الواقع في فلسفته الأخلاقية من أفلاطــون فقد رأى " أن تحقيق الخير الذي يتوخى بحثه ميسور في دنيانا الحاضــرة ، وإذا كان أفلاطون قد رفض عالم الحس والشهادة فإن تلميذه الــذي لقــب بــالمعلم الأول " كان يميل إلى الواقع ويتمسك بدنيا التجربة

---

(١) مــنهج السعادة في الإسلام مقارنتها بمذاهب السعادة الأخرى.محمد البيومي عبد الواحد صــ ٢٩ ط دار الطباعة المحمدية ط١ ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

(٢) دروس في تاريخ الفلسفة صــ ١٩ .

(٣) أعظــم فيلسوف جامع لكل فروع المعرفة الإنسانية في تاريخ البشرية كلها ويمــتاز علــى أستاذه أفلاطون بدقة المنهج واستقامة البراهين والاستناد إلى الــتجربة الواقعــية ، وهو واضع علم المنطق تقريباً ، ومن هنا لقب بالمعلم الأول " وصاحب المنطق " ، ولد سنة ٣٨٤ بمدينة اسطاغيرا
لــه مؤلفــات كثيرة منها : التحليلات الأولى ، التحليلات الثانية في النفس ، الأخــلاق إلــى نــيقوماخوس ، الأخــلاق إلى أوزيموس ، ما بعد الطبيعة ، السياسة ، توفى سنة ٣٢٣ ق.م - الموسوعة الفلسفية ج١ صــ٩٩ ، ١٠٠.

الإنسانية [١] فالحياة الفاضلة في نظره لا تكون إلا حيث يكون الإنسان مقيماً في صميم الحياة الواقعية راسماً لنفسه غاية محددة يتطلع إليها واضعاً أحسن الوسائل لتحقيقها " [٢] .

الخير الأقصى :

رفض أرسطو ما ذهب إليه السوفسطائيون من القول بأن اللذة هي الغاية القصوى للسلوك الإنساني كما رفضه من قبل كل من سقراط وأفلاطون وقرر أن الغاية هي الخير الأسمى والخير الأسمى الذي يعتبره أرسطو غاية للأخلاق هو السعادة القصوى التي لا تكون وسيلة إلى غاية أبعد منها وإنما هي غاية الغايات والمقصودة لذاتها لا لغاية أخرى وراءها " وكل شيء نرغب فيه ونبحث عنه لا نرغب فيه ونبحث عنه لذاته وإنما من أجل ما يحققه لنا من سعادة والسعادة وحدها هي الشيء الذي نبتغيه لذاته " [٣] .

وإذا كانت السعادة هي الغاية النهائية للأخلاق فما معناها عنده .

يحدد أرسطو تعريفه للسعادة كغاية قصوى بقوله " فالسعادة هي إذاً على التحقيق شيء نهائي كامل مكتف بنفسه ما دام أنه غاية جميع الأعمال الممكنة للإنسان " [٤] وإذا كان هذا هو رأي أرسطو في تعريف

---

(١) انظر فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها صـ ٨٣ .

(٢) دراسات في فلسفة الأخلاق نشأتها صـ ٣٢٨ .

(٣) انظر الأخلاق إلى نيقوماخوس صـ ١٦٧ : ١٧١ .

(٤) المرجع السابق صـ ١٩٢ .

السعادة فإنه قد قسم الناس في فهمهم لها إلى ثلاث مراتب من حيث السلوك الأخلاقي : فالطبائع العامية الغليظة ترى السعادة في اللذة ، إذ يختار أكثر الناس بمحض ذوقهم عيشة البهائم ، أما أصحاب العقول الممتازة النشيطة فإن غايتهم في تحقيق السعادة هي المجد والكرامة السياسية أما حياة الحكمة والتأمل والعيشة التأملية فهي السعادة الحقة عنده [(١)] ولم يساير أرسطو الرأي القائل بأن اللذة شر وإلا كان الألم خيراً ويصرح بأن من العبث أن يقال عن إنسان أنه سعيد وهو معذّب كذلك يرفض القول بأن اللذة حسية دوماً ولا يسلم كذلك باعتبار اللذة الحسية غاية الإنسان فإن لكل موجود وظيفته التي يؤديها ، وكمال الموجود مرهون بمدى تأديته لوظيفته ، ووظيفة الإنسان التي تميزه من سائر الكائنات هي التعقل والتأمل ، فهو يشارك النبات والحيوان في النمو والحس وينفرد عنهما بالتأمل العقلي ، ومن ثم كانت مزاولة التأمل أكمل حالات الوجود الإنساني ، وإذا كانت السعادة الحقيقية تتمثل في حياة التأمل والنظر العقلي فإن هناك سعادة ثانوية تتمثل في مباشرة الفضائل الخلقية ، وهذه هي سعادة الحياة العملية التي تتطلب وجود الخيرات الخارجية " [(٢)]

الفضيلة :

الفضيلة عند أرسطو تعني " الوسطية " أي الوسط بين طرفين كلاهما

---

(١) الفلسفة الخلقية د. توفيق الطويل صـ ٥٥ .

(٢) انظر فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها صـ ٨٦ ، ٨٧ .

رذيلـــة " فالإفــراط بالأكـــثر خطيـــئة ، والإفراط بالأقل هو كذلك مذموم والوسط وحده هو الحقيق بالثناء " (١) .

فالشجاعة مثلاً وسط بين الجبن والتهور ، والكرم وسط بين الإسراف والتقتـــير والتواضـــع وســـط بين الخجل وانعدام الحياء ... وهكذا . وهذا الوســـط لـــيس وســـطاً حسابياً بل هو وسط اعتباري يتغير بتغير الأفراد والظـــروف التـــي تحـــيط بهم والعقل وحده هو الذي يعيّن هذا الوسط مع مـــراعاة ظروفه فما يعتبر كرماً عند فقير ، قد يُعدّ بخلاً عند غني وبغض الـــنظر عـــن الشخص وظروفه نجد أن الفضيلة عادة ما تكون أميل لأحد الطرفيـــن من الآخر ، فالشجاعة مثلاً أقرب إلى التهور منها إلى الجبن ، والســـخاء أقرب إلى التبذير منه إلى التقتير ، والعفة أقرب لجمود الشهوة منها للشره (٢) والعقل وحده هو الذي يعين هذا الوسط مع مراعاة ظروفه.

وإذا كـــان الإنسان مكون من جانب حيواني ويتمثل في الشهوة وجانب روحانـــي ، ويتمـــثل في العقل . كانت الفضائل نوعين ، نوعا يتمثل في الـــتغذي والحـــس ونوعـــا يتمثل في حياة التأمل والنظر المجرد ، وتقوم فضيلة الصنف الأول على إخضاع الشهوات والأهواء لسلطان العقل ، أما حـــياة التأمل الفلسفي فهي أسمى بكثير من الحياة الأولى وتتكون الفضائل الخلقـــية بالتربـــية والتعود وتتكون الفضائل العقلية بالتعلم فليست الفضيلة أمـــراً فطرياً في الإنسان ، ولكن الأمر الفطري أو الطبيعي فينا هو القوى والاســـتعداد الـــذي يجعلـــنا قابلين بالتعلم والتربية إلى اكتساب الفضيلة ،

---

(١) الأخلاق إلى نيقوماخوس ج١ صـــ ٢٤٦ .

(٢) انظر دروس في تاريخ الفلسفة صـــ ٣٣ .

فليست الفضيلة في الإنسان بفعل الطبع وحده ، وليست كذلك ضد إرادة الطبع ولكن الطبع قد جعلنا قابلين لها والتعود يرسخها فينا ، ومعنى ذلك أننا لا نكتسب الفضائل إلا بعد ممارستنا لها شأنها في ذلك شأن الفنون جميعها التي لا نتعلمها إلا بممارستنا لها ، فالإنسان يصبح معمارياً بممارسة البناء ، وموسيقياً بممارسة الموسيقى ، وعادلاً بإقامة العدل ، وحكيماً بمداولة الحكمة ، وشجاعاً باستعمال الشجاعة ، ويؤيد ذلك ما تفعله الحكومات مع شعوبها فإن الشارعين لا يصيرون الأهالي فضلاء إلا بتعويدهم ذلك والذين لا يؤدون منهم هذه المهمة كما ينبغي يخطئون الغرض الذي يقصدون " (١) .

" فالفضائل إنما تكتسب بالمران والتعود وعندئذٍ تقترن مزاولتها بمتعة بل إن الفضيلة لا تكون فضيلة إلا متى أصبحت عادة تصدر عن صاحبها في يسر وسهولة حتى يجد في مزاولتها لذة ، ومن وجد في مباشرة الفضيلة مشقة وعناء دل هذا على عدم استعداده لها ، فاللذة ترشد إلى الفضيلة وتقترن بها ، ومن هنا وجد العفيف في ضبط نفسه لذة ، وما يقال عنه ينسحب على غيره من أفاضل الناس وهكذا تبدو قيمة اللذة وصلاحيتها أداة للتربية والتهذيب (٢) .

هذه صورة موجزة عن معالم الفكر الأخلاقي عند أرسطو الذي لم يسلم من بعض الانتقادات التي وجهت إليه منها :

١- أن فكرة الوسط التي أقرها مقياساً للفضيلة لا تنطبق على كل

---

(١) انظر الأخلاق إلى نيقوماخوس ج١ ص ٢٢٦ .

(٢) فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها صـ ٨٨ .

الفضـــائل فليســت كل فضيلة وسطا بين رذيلتين فهناك فضائل لا يتصور في حقيقتها وسطاً كالعدل ، والصدق .

٢- أنه قصر السعادة اللازمة عن فعل الخيرات على هذه الحياة حيث لـــم يصح لديه خلود الروح أو القول بحياة أخرى " فإذا كانت نظريته في الأخـــلاق أدق من نظرية أفلاطون من ناحية الاستقراء والبحث العلمي ، لكنها تنزل عن مستواها إذ لم تتجه مثلها نحو السماء " (١) .

٣- ومـــن عـــثرات المذهب الأخلاقي الأرسطي أنه " رفض المساواة بيـــن الناس وخص الأقلية بأحسن الأشياء وطالب الأكثرية بالقناعة كما أنه جعـــل الأخلاق تابعة للسياسة وبناءاً على ذلك إذا وجد شخصان متكافئان أخلاقـــياً وكـــان أحدهمـــا يتمـــتع بمركز سياسي ، فليس هذان الشخصان متســـاويين أخلاقـــياً فالحكم الصالح لا يتساوى مع المواطن الصالح وبناء علـــى رأيه هذا تكون ميزة المهارة والموهبة لها دخل في التقييم الأخلاقي ولـــم يقـــل بذلـــك لأن الأخـــلاق إنما ترتبط دائماً بالأفعال الإرادية التي يخـــتارها الإنسان أما المواهب والمزايا التي يتمتع بها شخص ما دون أن يكـــون لإرادته دخل فيها فلا تمت بصلة إلى الأخلاق وإنما تتصل بالميدان الاجتماعـــي أو السياســـي مـــثلاً (٢) ويعلل د. توفيق الطويل هذه النظرة الأرســـطية للمســـاواة أو العدالة بين الناس بقوله : " أن نظرة أرسطو إلى

---

(١) تـــاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية صـــ ١٩ د . أبو بكر زكري ط مطبعة شبرا ١٩٥١م .

(٢) انظـــر " دراســـات فلســـفية وأخلاقية د. محمد كمال جعفر صـــ ٣٠٠ ط مكتبة دار العلوم ١٩٧٨م .

العدالـــة . وهي نظرة اليونان إجمالاً . تنحدر إلى أصل ديني يقول : بأن العدالة تقتضي منح الممتازين مزايا يُحرم منها غيرهم من الناس " [١] .

وكمـــا تأثـــر الفلاســـفة المسلمون بالأخلاق الأفلاطونية تأثروا كذلك بـــالأخلاق الأرسطية وخاصة في رأيه في الفضيلة بأنها وسط بين رذيلتين ومـــن هؤلاء ابن مسكوية والفارابي ، والغزالي ، فقد قرر ابن مسكوية أن " الفضيلة وسط بين رذيلتين وهي منها على أقصى البعد حتى إذا انحرفت أدنـــى انحـــراف عـــن موقعهـــا ، كانت أقرب إلى إحدى هاتين الرذيلتين ولحقهـــا نقـــض الرذيلة التي تقرب منها [٢] وهو يطبق نظرية الوسط هذه علـــى فضـــائل النفس في قوله " أما الحكمة فهي وسط بين رذيلتين هما : السفه والبله ، وأما العفة فهي وسط بين رذيلتين هما :

الشره وخمود الشهوة ، وأما العدالة فهي وسط بين الظلم والانظلام[٣].

كما يرى الفارابي أن الفعل الأخلاقي الجميل هو الفعل المتوسط ويضرب مـــثالاً لتوضـــيح ذلـــك بقوله : " إن الصحة متى كانت حاصلة فينبغي أن تحفـــظ ؛ ومـــتى لـــم تكـــن فينبغي أن تكتسب ، وكما أن الأمور التي بها تحصـــل الصحة إنما تحصل بها متى كانت بحال توسط فالطعام متى كان متوســـطاً حصلت به الصحة والتعب متى كان متوسطاً حصلت به القوة ، كذلـــك الأفعـــال متى كانت متوسطة حصل الخلق الجميل ... ومتى زالت الأفعـــال عـــن الاعتدال واعتيدت لم يكن عنها خُلُق جميل ، وزوالها عن

---

(١) فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها صــ ٩٣ .

(٢) تهذيب الأخلاق صــ ١٢٤ .

(٣) انظر المرجع السابق صــ ٣٦ ، ٣٧ .

الاعتدال المتوسط هو إما إلى الزيادة على ما ينبغي أو النقصان عما ينبغي " [١] وحين تحدث الغزالي عن الفضيلة رأي هو الآخر – أنها وسط بين حالتين غير مرغوب فيهما وأن " الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس ، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها ، كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له ، والميل عن الاعتدال مرض فيه " [٢] كما اتفق هؤلاء الفلاسفة أيضاً مع أرسطو في القول بأن الأخلاق قابلة للتغيير واستدلوا على ذلك بأن تحول الإنسان من خلق إلى آخر أمر مُشَاهد ، وأنه يتفق مع وجود العقل والتمييز في الإنسان والحكمة من إنزال الشرائع [٣]. وكذلك في تقسيم الخيرات إلى " ما هي غايات وما ليست بغايات ، والغايات منها ما هي تامة كالسعادة ومنها غير التامة كالصحة واليسار ، ومنها ما ليست بغايات البتة كالعلاج والتعلم " [٤].

فالسعادة هي إحدى الخيرات وأقربها للنفس الإنسانية وهي السعادة التي تؤثر لأجل ذاتها [٥].

---

(١) التنبيه على سبيل السعادة صـ ٥٧ ، ٥٨ للفارابي ، تحقيق د. جعفر آل ياسين ، ط دار الأندلسي – بيروت / ط / ٢ / ١٩٨٣م .

(٢) إحياء علوم الدين ج٣ صـ ٥٩ .

(٣) انظر تهذيب الأخلاق صـ ٤٢ ، الإحياء / ج٣ / صـ ٦٠ ، دراسات في فلسفة الأخلاق صـ ٣٧٠ .

(٤) تهذيب الأخلاق صـ ٩٠ .

(٥) التنبيه على سبيل السعادة صـ ٤٧ بتصرف .

الأخلاق في الفلسفة الرواقية [١] .

قبل أن نتكلم عن مذهبهم الأخلاقي نشير إلى رأيهم في المعرفة والطبيعة بإيجاز .

أما المعرفة فترجع إلى الحس ، فالأصل في المعرفة أن الشيء يطبع صورته في الحس بفعل مباشر بدون واسطة ، والمعرفة التي من هذا القبيل " فكرة حقيقية " يقينية تتميز بالقوة والدقة والوضوح ، والأفكار الحقيقية هي الدرجة الأولى من درجات المعرفة والدرجة الثانية هي التصديق الذي يتعلق بالإرادة والدرجة الثالثة هي الفهم والرابعة هي العلم الذي هو عبارة عن تنظيم المعرفة الحسية " [٢] .

أما الطبيعة عندهم فإنهم يرون أن الله والعالم ليسا إلا شيئاً واحداً له

---

(١) ظهرت المدرسة الرواقية بمدينة أثينا أوائل القرن الثالث ق.م ، أنشأها زينون وهو أسيوي ، ولد في قبرص سنة ٣٣٦ ق.م ، ثم جاء أثينا حوالي سنة ٣١٢ ، وقد أطلق معاصرو هذه المدرسة على زعمائها وتلاميذها اسم الرواقيين نسبة إلى الرواق الذي كانوا يلقون فيه دروسهم وتعتبر هذه المدرسة أول مشاركة بارزة من جانب الشرقيين في الفلسفة اليونانية ، فقد كان لها بعد زينون زعيمان كبيران أسيويان عملا على توضيح مبادئها وتأييدها ضد خصومها هما : " كليانت " و " كريزيب " والرواقيون ماديون كالأبيقوريين غير أنهم يخالفونهم في تصور المادة ، فهم لا يعتقدون بالجوهر الفرد أي بجزء المادة الذي لا يتجزء بل يزعمون أن المادة متجزئة إلى غير نهاية " انظر دروس في تاريخ الفلسفة ص ٣٩ .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم صـ ٢٢٤ .

مظهـران مختلفان يتمثلان في المادة وهي العالم ، والقوة التي تجعل فيها الحـركة والـنظام وهـو الله ، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر إلا في اعتـبار الذهن وعلى ذلك فلا يوجد في الحقيقة إلا كائن واحد ، ومن هذا التصـور للطبـيعة ذهبوا إلى أن الإنسان جزء من الطبيعة العامة ، وأن خيره وسعادته يتمثلان في اتساقه مع الطبيعة .

مذهبهم الأخلاقـي :

تحـتل الأخـلاق المرتبة الأولى في الفلسفة الرواقية ويدل على ذلك تعـريفهم للفلسفة ذاتها فهي عندهم " ممارسة الفضيلة ، والفضيلة صناعة واحـدة لا تتجزأ ، وهي أشرف الصناعات منزلة وهي تلائم طبيعة البشر ملائمـة خاصـة وقـد أقام الرواقيون مذهبهم في الأخلاق على أساس أن يسير الإنسان على وفاق مع الطبيعة إذ الإنسان " جزء من الطبيعة أو من الكـون الذي يعيش فيه فلا بد له أن يعيش متوافقاً معه وإذا تحقق للإنسان هـذا التلاؤم أو التوافق مع الطبيعة تحققت له السعادة ولكي يحقق الإنسان هـذا الـتوافق بيـنه وبين الطبيعة التي هو جزء منها فإنه يجب عليه أن يجعـل تطلعاته الطبيعية والذاتية هي نفس ما تتطلع إليه الطبيعة العامة[1] ولـذا أطلـق زينون عبارته المشهورة " الحياة وفقا للطبيعة " بمعنى أن غايـته هي أن يعيش على وفاق مع الطبيعة [2] وإذا كان الإنسان لا يملك عصـيان قوانيـن الوجـود إلا أنـه باعتباره كائناً عاقلاً يستطيع تحقيق الإنسـجام بينه وبين هذه القوانين ابتغاء تحقيق سعادته وأساس تحقيق هذا

---

(١) انظر خريف الفكر اليوناني د. عبد الرحمن بدوي صـ ٤٠ .

(٢) انظر الأخلاق النظرية د. عبد الرحمن بدوي صـ ٢٥٦ .

الإنسجام عند الرواقيين يعود إلى شيئيين :

أ- الشعور بالنقص ويمكن القضاء عليه بالقيام بما يجب فعله .

ب- التطلُّع إلى رغبات غير ممكنة التحقيق غالباً ويمكن القضاء على ذلـك بالاعتقاد بأن الأشياء ليست في نفسها خيراً أو شراً ، " فكل خير أو شر في حياة الإنسان مرهون بإرادته .

والفضـيلة تقـوم على العقل وإن الحكيم الرواقي هو الذي تتمثل فيه أسـمى صفات الكمال والذي يرتفع فوق مستوى البشر ولا يتعرض للخطأ ويحسـن كل ما يفعل ويلتزم الهدوء دوماً ، ولا يحس ألماً ولا حزناً ، ولا خوفـاً ولا ندمـاً وتحفل حياته بالخير والسعادة [1] فهو مستعد دائماً لقبول كل ما يحدث كنتيجة لعمله وهو الشخص الذي راض نفسه على الزهد في كل ما لا يخضع لإرادته ولعل أفضل ما يوضح لنا تصورهم للسعادة قول أحدهـم " إذا قـدر لي أن أموت فلن أجد في الإقدام على الموت ما يدعو إلـى التأوه والتألم ، وإذا قدر لي أن أزج إلى السجن فلن أذهب إليه باكياً منتحـباً ، وإذا قـدر لـي أن أعاني مرارة النفي ، فلن أذهب إلى منفاى مكتئـباً متخازلاً ، وإذا طلب إليَّ طاغية أن أفشى سرا وهددني بأن يقيدني بالأصـفاد ، قلت له إنك تقيد ساقي ولا تملك أن تمس إرادتي بسوء ، وإذا أرسـلتني إلـى السجن أمكنك أن تتحكم في جسدي ، دون أن تمتد قدرتك إلـى نفسـي ، وإذا أنذرتني بفصل رأسي عن جسدي قلت لك ساخراً أنا الإنسان الوحيد الذي يستحيل قطع رأسـه [2] .

---

(١) انظر فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها صـ ١٠٩ .

(٢) الفلسفة الخلقيـة د. توفيق الطويل صـ ٨٣ .

فالسـعادة لـدى الرواقييـن إذًا تتمـثل في الطمأنينة والسلام الداخلي وهـدوء القلـب لنفس قد رضيت عن نفسها وعن الأشياء حولها ويرفض الرواقـيون مبدأ اللذة لأنهم لا يرون في الانفعالات سوى أفعال حقيرة لابد مـن العمل على استبعادها فحيثما يستسلم الإنسان للانفعالات والأهواء أو حينما يفقد السيطرة على كل ما لديه من رغبات وشهوات فإنه سرعان ما يقـع فريسـة لهذا الشر الخلقي الذي لابد من أن يفرض عليه ضرباً من العـبودية الباطنية ، وقد وحدّ الرواقيون بين الفضيلة والسعادة على اعتبار أن القـيمة العليا في الحياة بأسرها إنما هي السلوك الخيِّر وإن السعادة هي مجرد وعي أو شعور بهذا السلوك الخير ، ومن ثم فقدت الفضيلة على يد الرواقيين كل طابع وجداني أو عاطفي وانفعالي وكأن على رجل الأخلاق أن يـتحرر تماماً من كل مشاركة في قيم الحياة ، وأن يغلق عينيه عن كل ما قد يولد لديه رغبات أو انفعالات أو أهواء وفات الرواقيين أن الإنسان لـيس عقـلاً صـرفاً لا يخضـع لأى عاطفة أو وجدان بل هو كائن مشـخص له أفكـاره وعواطفـه ورغـباته ونوازعـه وميوله واتجاهاته الوجدانيـة " (١) .

كمـا أن هـذا الإسـراف في التهوين من تأثير المحن والشدائد على سـعادة الإنسان يجعل الأخلاق مطلباً عسير المنال فمن هذا الإنسان الذي يـتعرض للمهلكـات والـنوازل ولا يجد في ذلك حائلا يمنعه من السعادة فـالآلام الشـديدة المستمرة كفيلة بتحطيم إرادة الإنسان وشجاعته ومن ثم إحساسه بالسعادة .

---

(١) انظر المشكلة الخلقية د. زكريا إبراهيم صـ ١٣٦ ط مكتبة مصر .

وخير ما نختم به حديثنا عن مذهب الرواقية الأخلاقي هو نقد د. مصطفى حلمي لها بقوله " إن طريقة حياة الحكيم الضابط لنفسه كما يريدها أهل الرواق ، تدخل في روعنا صورة كائن صناعي متضخم العقل على حساب الروح والعاطفة ، وليس الإنسان كذلك ، بل هو مزيج من العقل والوجدان والعاطفة ، ولا تتحقق سعادته الأرضية إلا بالموازنة بين هذه العناصر لتتحقق الوسطية بينها فينتج عنها السعادة وهو المنهج الذي رسمه الإسلام بتشريعه المحدد للسلوك الإنساني في دائرة " الحلال " دون " الحرام " مستجيباً لدواعي الفطرة في الإنسان ، وضابطاً لنوازعها بلا تفريط ولا إفراط (١) .

وقد تأثر إخوان الصفا بالأخلاق الرواقية في قولهم بأن الإنسان يكون خيّراً إذا عمل حسب ما تمليه عليه طبيعته الحقيقية ، وأن العمل يكون خيّراً متى فعلته النفس راضية مختارة ، ويكون فاضلاً إذا صدر عن الروية والعقل (٢).

الأبيقورية (٣) .

اهتمت هذه الفلسفة كغيرها من الفلسفات بالبحث الأخلاقي ، بل إن

---

(١) الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام صـ ٥٣ .

(٢) دراسات في فلسفة الأخلاق . د/ محمد عبد الستار نصار . صـ ٤٠٠.

(٣) تنسب هذه المدرسة إلى مؤسسها " أبيقور " وهو فيلسوف يوناني عاش من سنة ٣٤١ – ٢٧٠ ق.م ، وقد أسس مدرسته في سنة ٣٠٦ ق.م واستمرت أكثر من ستة قرون ، وهو من أنصار مذهب السعادة الشخصية

الأخـــلاق كانت جوهر فلسفتها وقد اتفقت هذه الفلسفة مع الفلسفة الرواقية فـــي " تصـــور الغاية القصوى من حياة الإنسان وإن اختلفت أساليب كل مـــنهما لبلوغ هذه الغاية وكان هدف كل منهما قائماً على السعادة السلبيـــة ، التي تتحقق بطمأنينة النفس وهدوء البال ولكن الرواقية التمسوا إلى هذه الســـعادة بـــالعمل على قمع الأهواء والشهوات ومحاربة اللذات ومزاولة حـــياة الـــزهد والحرمان أما الأبيقورية فقد التمسوا هذه السعادة نفسها في حـــياة الهـــدوء ، والخلـــو من المخاوف والانفعالات وتوخوا الابتعاد عن الآلام ورحـــبوا بالتمتع باللذات ومن هنا قيل أنهما قد اختلفتا وسيلة ، لكن انعقـــد الاتفـــاق بيـــنهما علـــى اعتبار السعادة السلبية غاية قصوى لحياة الإنسان [١] .

مذهب الأبيقورية الأخلاقـــي.

أقامـــت الأبيقورية فلسفتها الأخلاقية على وجدان اللذة فاللذة هي الخير الأسمى ، والألم هو الشر الأقصى ، وليس للفضيلة قيمة في ذاتها ، ولكن

وهـــو المذهـــب القائل إن الإنسان ينبغي أن يطلب أكبر لذة لشخصه ، ويجب أن يوجـــه أعماله للحصول عليها ، فإذا تردد إنسان بين عملين ، أو تردد في عمـــل أيفعلـــه أم يتركه ، فليحسب ما فيه من لذائذ وآلام لشخصه ، ويوازن بيـــنهما فمـــا رجحـــت لذائذه فخير ، وما رجحت آلامه فشر وما تساوت فيه اللذائـــذ والآلام كـــان فيه محيراً ، وأن على كل إنسان أن يبحث وراء لذائذه هـــو ، وسعادته هو ويعمل ما يوصله إلى ذلك والعمل الذي يوصله إلى تلك الغاية أو يقربه منها يكون خيراً . انظر كتاب الأخلاق أحمد أمين صـــ ٧٥

(١) انظر فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها صـــ ١٢٩ .

قيمتها تستمد من اللذات التي تقترن بها [١] .

أنواع اللذة :

واللـــذة عـــند الأبـــيقورية نوعـــان : لـــذة حسية تتمثل في الاستمتاع بالمحسوســـات كالمأكل والمشرب والمنكح إذ الإنسان كالحيوان من حيث أنه يطلب لذاته منساقاً بفطرته ، وإن سخر عقله في تهيئة الوسائل المؤدية إلـــيها وأعتبر أن كل لذة خير ما لم تقترن بألم فتصبح من أجل هذا شرّا ، وهـــذا المذهـــب لا يعنـــي باللذة اللذة الحاضرة وإنما يجب عنده أن نلقى بـــنظرة علـــى الحياة كلها ، ونطلب تحصيل لذة الحياة ، ومن ثم يجب أن نمســـك بزمام شهواتنا فنرفض اللذة إذا استتبعت ألماً أكبر منها ، ونتحمّل الألم إذا استتبع لذة اكبر منه .

أما النوع الثاني فهو اللذة العقلية والروحية ، وهي عند الأبيقورية أهم مـــن اللذائـــذ البدنية لأن البدن يشعر باللذة والألم مدة بقائهما فقط ، وليس للجسم نفسه تذكر للذة ماضية ولا توقع للذة مستقبله ، أما العقل فإنه يذكر ويـــتوقع ، ومن ثم كانت لذائذه أبقى وأطول ، فهو يشارك الجسم في التلذذ وقـــت اللذة ويزيد لذة الذكري والتوقع [٢] . واتفقت الأبيقورية مع الرواقية فـــي الاستخفاف بالظروف الخارجية والقول بأن الحكيم يستمد غبطته من باطـــن نفســـه دون اكتراث بالعوامل الخارجية التي تفرض عليه من أجل هـــذا يستطيع أن يشعر بالسعادة وهو على آلة التعذيب لأنه يجد في أعماق

---

(١) انظر فلسفة الأخلاق صـــ ١٣٠ .

(٢) كتاب الأخلاق أحمد أمين صـــ ٧٥ .

نفســه طمأنيــنة باطنية تهون كل ألم يحتمل أن ينزل به ومع هذا صرح أبــيقور بــأن لــذات الحس المباحة المشروعة ليست ممنوعة ولا مدعاة للــنفور أو الاحــتقار وزاد فرفع الصداقة فوق جميع اللذات العقلية حتى كانــت مدرســته التي أنشأها في حديقة منزلة تضم جماعة من الأصدقاء تربط بينهم أواصر الود والمحبة ... ومع أن الأبيقورية قد أعلوا من شأن اللــذات الحســية إلا أنهم دعوا إلى التصور السلبي للمتع واللذات ، فقالوا بطمأنيــنة نفســية ســلبية تتجرد من حالات القلق والانفعال [١] " وقد دعَّم أبــيقور هذه الأخلاق الداعية إلى طمأنينة النفس بتبديد دواعي الخوف عند الإنسان وأهمها :

أ- الخوف من الآلهــة .

ب- الخوف من الموت .

أما الخوف من الآلهة فقال : لا داعي له ، لأن كل شيء في الكون - بحســب اعــتقاده . يفســر بفعل الذرات والآلهة موجودون لكن سعادتهم تســتلزم ألا يشــغلوا أنفســهم بحكم العالم ، ولهذا نراهم لا يحفلون بالعالم وإنمــا يعيشون في عليين ، ناعمين باللذات الأبدية ، وعلينا أن نحاكيهم لا أن نخشاهــم .

ب - أما الموت فلماذا نخاف منه لأننا طالما كنا موجودين فالموت لم يحدث ، وحين يحدث لا نكون موجودين [٢] .

---

(١) فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها صــ ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) الأخــــلاق النظرية صــ ٢٤٥ .

أمـــا الألـــم الناشـــيء عن الرغبات فيمكننا القضاء عليه وإزالته عن طريق تنظيم هذه الرغبات وهي عند الإنسان ثلاثة أنواع :

أ - " رغبات طبيعـــة وضرورية .

ب - رغبات طبيعة غير ضرورية .

ج - رغبات ليست طبيعية ولا ضرورية .

أمـــا الرغـــبات أو الشـــهوات الطبيعية الضرورية فموضوعها إشباع أبســط الحاجـــات الأولـــية في الإنسان بأقل قدر فيكتفي بكسرة خبز لرد الجوع وبكأس الماء لدفع العطش .

أمـــا الرغبات الطبيعية غير الضرورية فموضوعها التفنن في المأكول والمشـــروب والملـــبوس فـــلا تثريب على الحكيم في الأخذ بها في بعض الأحـــيان دون إسراف وفي أوقات متباعدة إذ الإفراط من شأنه إن يستعبد النفس للناس والشهوات .

أما النوع الثالث من الشهوات وهي ما ليست طبيعية ولا ضرورية لا تصـــدر عـــن طبيعة وإنما الداعي إليها هو الغرور والتفاخر الكاذب بين الـــناس مثل الحرص على المناصب الرفيعة والنياشين فينبغي على الحكيم إن يـــنأي بنفســـه عن هذه الشهوات لأنها تفسد هدوء النفس بما تثيره من غيرة ومناقشة في قلوب سائر الناس [١] .

مقياس الفضائل الخلقية :

اعتـــبر أبـــيقور اللذة غاية الحياة ومعيار القيم ، فالعمل الإرادي عند أبـــيقور لا يكون فاضلاً إلا إذا حصل منه لذة هي أفضل اللذات " فمقياس

---

(١) انظر الأخلاق النظرية د. عبد الرحمن بدوي صـــ ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

الفضائل لديه يكون تبعاً للذات التي تحصل منها ، وكلما كانت اللذات أدوم ، كان هذا العمل الذي يحصلها أدخل في باب الأعمال الفاضلة .

" وفي ضوء هذا أباح عصيان القوانين متى حقق هذا منفعة لنا ، ولم يصبنا من وراء العصيان أذى ، وفي ضوء هذا أباح الخروج على مبدأ العدالة وإيقاع الظلم بالناس متى ترتب على هذا نفع ، وكان صاحبه بمأمن من انتقام الناس : أليست طمأنينة النفس هي أقصى أماني الإنسان[1] .

تعقيب :

إذا كان هذا هو ما ذهبت إليه المدرسة الأبيقورية في مجال الأخلاق فلنا معها وقفات .

١- أنه بالغ في مسألة الخوف من الموت كما قرر أن الروح تفني بفناء الجسد ولم يقدم دليلاً على ذلك .

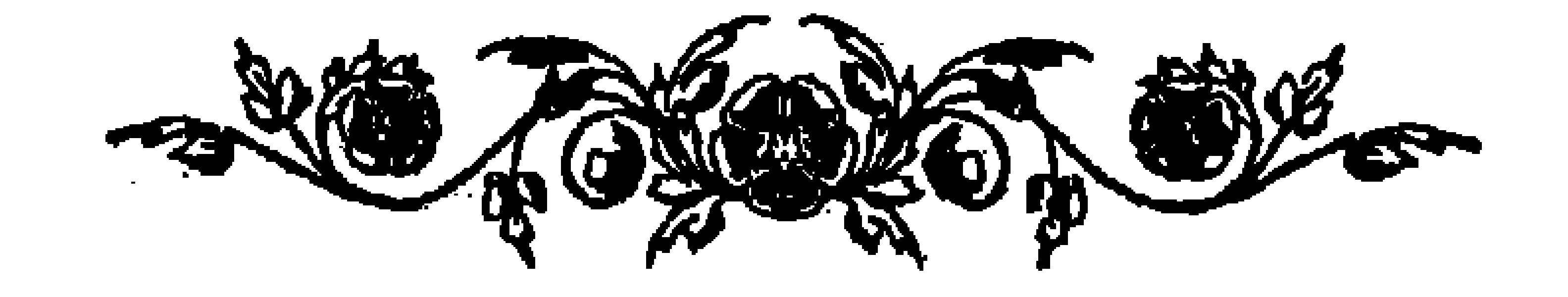
٢- أن اقتصر في حديثه عن الآلهة على رأي الماديين الذين لا يؤمنون إلا بما يقع تحت الحس وهو منهج ثبت خطؤه عند الحسيين وغيرهم .

٣- إن مقياس الفضائل عند الأبيقوريين هو اللذات التي تحصل منها وكلما كانت اللذات أدوم ، كان العمل الذي يحصلها أدخل في باب الأعمال الفاضلة والذي تشهد به التجربة كفيل بإبطال القول إن اللذة غاية لأفعالنا الإرادية ، فقد ترفض من أجل مبدأ كريم أو هدف نبيل .

---

(١) انظر فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها صـ ١٣٥ .

❁ أمــا الــنزعة الإنســحابية من الحياة التي تبدو واضحة في هذا المذهب فهي نزعة كفيلة بإثارة اليأس والاستخفاف بالطموح ولا سيما في عــالم فــياض بالحــيوية والنشــاط ، والانســحاب من الحياة نزوع تأباه مقتضــيات الحياة الاجتماعية في المجتمع المعاصر الذي يسود فيه التعاون والتآزر والمصالح المشتركة بين أفراده [١] .



(١) انظر فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها صـــ ١٣٦ .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً :

١- الأخــلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام - د/ مصطفى حلمي - ط دار الدعوة ط٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٢- الأخــلاق النظرية / د. عبد الرحمن بدوي / ط وكالة المطبوعات الكويت / ١٩٧٥م .

٣- الأخــلاق إلــى " نـيقوماخوس " لأرسطو طاليسي / ترجمة أحمد لطفي السيد ، ط المطبعة المصرية / القاهرة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م

٤- الأخــلاق ، أحمد أمين ، أمين مرسي قنديل ، ط مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر / بدون تاريخ .

٥- الأســفار المقدسة د/ على عبد الواحد وافي ، ط دار نهضة مصر ط٣ ١٩٨٣م .

٦- إحــياء علــوم الديــن للإمام أبي حامد الغزالي ، ط دار صادر - بيروت ، دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ .

٧- آراء أهــل المديــنة الفاضلة للفارابي تصحيح عيد الوصيف ، ط مكتبة الحسين ، ط٢ ، ١٩٤٨م .

٨- أضواء على النظريات والمذاهب الأخلاقية د. محمد حسن عمَّار / ط دار الإسلام / ١٩٩٢م .

٩- تهذيــب الأخــلاق وتطهــير الأعراق لابن مسكوية ، تحقيق ابن الخطيب ط/ المطبعة المصرية ومكتبتها ط١ .

١٠- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير / ط المكتبة التوفيقية - القاهرة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .
١١- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام د. محمد على أبو ريان ، ط دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٦م .
١٢- تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم ، ط لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٦م .
١٣- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي د. مصطفى النشار ط دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٨م .
١٤- الديانات القديمة للإمام محمد أبي زهرة ، ط دار الفكر العربي ، ١٩٦٥م .
١٥- دروس في تاريخ الفلسفة ، إبراهيم مدكور ، ط المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٠م .
١٦- دراسات في فلسفة الأخلاق . د/ محمد عبد الستار نصار ، ط مكتبتي لطباعة الأوفست ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م .
١٧- علم الأخلاق النظرية والتطبيق - محمد طاهر آل شبير ، ط/ دار الهلال - بيروت ط١ ، ١٩٨٧م .
١٨- العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ، د/ محمد بيصار ، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢ .
١٩- الفلسفة الشرقية ، د/ محمد غلاب، ط مكتبة الأنجلو المصرية ط٢
٢٠- كتاب الأخلاق ، أحمد أمين ، ط/ مكتبة النهضة المصرية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
٢١- لسان العرب لابن منظور، ط دار صادر- بيروت ، ط١/ ٢٠٠٠م

٢٢- مباحث في فلسفة الأخلاق ، د/ محمد يوسف موسى ، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م .

٢٣- مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " د/ أحمد شلبي ، ط/ مكتبة النهضة المصرية ، ط٤ / ١٩٧٦ م .

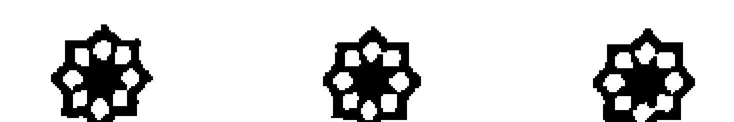
٢٤- المجمل في تاريخ علم الأخلاق ، د/ توفيق الطويل ، عبد الحميد حمدي ، توزيع دار الفكر العربي - بدون تاريخ .

٢٥- موسوعة الفلسفة د/ عبد الرحمن بدوي ، ط/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط/ ١ ، ١٩٨٤م .

٢٦- مذهب السعادة مقارنتها بمذاهب السعادة الأخرى ، د/ محمد بيومي عبد الواحد ، ط/ دار الطباعة المحمدية ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٢٧- المشكلة الخلقية ، د/ زكريا إبراهيم، ط /مكتبة مصر بدون تاريخ.

٢٨- الهوامل والشوامل لابن مسكوية ، وأبي حيان التوحيدي ، نشر أحمد أمين ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠هـ .



فهرس الموضوعات


Bibliotheca Alexandrina
06800016
0
89